الطفل والتراث

مكتبة بطرسبورغ
المكتبةُ الوطنيّة في روسيا

الليبرالية والأوديسة
السورية

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1825» الأحد 2023/7/9م - 21 ذو الحجة 1444 هـ — 200 ل.س

لوحة للفنان التشكيلي د. محمد غنوم

لوحة للفنانة التشكيلية حنان محمد إبراهيم

الافتتاحية

الأسبوع الأدبي

كتبها: د. محمد الحوراني

وداعاً حليم بركات المُفكِّر الموسوعيّ والمُناضل الأصيل

من الكفرون إلى دمشقَ، فبيروتَ، ومنها إلى الولاياتِ المتّحدة الأميركية، كانت رحلةُ الباحثِ والمُفكّر النهضويّ الموسوعيّ الدكتور حليم بركات، الذي أمضى حياتَهُ ولقاءاته مع الباحثينَ والمُفكّرينَ العرب والغربيّين، مُدافعاً عن عدالة القضايا العربية، ولا سيّما قضيةُ فلسطينَ. كيف لا، وهوَ المُثقّفُ العُضويُّ، حسبَ تعبيرِ غرامشي، والمُثقّفُ المبدئيُّ الذي آثرَ الانحيازَ إلى قضايا الأمّة في النُّهوض والتحرُّر.

وهذا ما يظهرُ جليّاً في مشروعه الإبداعيّ والفكريّ، انطلاقاً من روايتَيه "القمم الخضراء" ١٩٥٦، و"الصمت والمطر" ١٩٥٨، وليسَ انتهاءً بعمله الفكريّ المُجتمعيّ التحليليّ الرائع "المُجتمع العربيّ المعاصر"، وهو العملُ الذي أمضى في كتابته ثلاثةَ عُقود، اشتغَلَ فيها على الأبحاث والدراسات الاجتماعية والثقافية التي تتناولُ المُجتمعَ المعاصرَ وما طرأ فيه وعليه من تَغيُّرات، مع تقديمه تفسيرات بنائيّةً، مُركّزاً بها على دراسة البُنْيَة الطبقيّة والاختلاف في أنماط المعيشة، ونظراً إلى أهميّة الأُسْرَة ودورها في بناء المجتمع، فقد ركّزَ اهتمامَهُ في الفصل الثامن من الكتاب عليها، لأنها نواةُ المُجتمع وصُلبُ نُشوء المُؤسّسات الاجتماعيّة الأُخرى وتَطوُّرها، وقد ابتدأ الفصلَ بمقولة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "لا تقسرُوا أولادَكم على أخلاقكم، فإنهم خُلقُوا لزمن غير زمنكم"، وهي قاعدةٌ مُهمّةٌ وأساسيةٌ في بناء الأُسرة والمُجتمع وجعْله مُتماسكاً، قويّاً، مُواكباً للتَّغيُّرات ومُنسجماً مع ما يُناسبُهُ من مبادئ عصره وأخلاقيّاته.

ولعلَّ أهمَ ما يُميّزُ حليم بركات في مواقفه، هو الثباتُ على الموقف ورفض التدخُّلات الأجنبية في الدول العربية وغيرها وخاصةً في بلده سورية، ولا سيما في فترة ما عُرف زيفاً بـ"الربيع العربي"، ويؤكّدُ هذا ما قالَهُ الباحثُ والمفكّرُ "إدموند غريب" في أمسيةٍ عُقدَتْ عام ٢٠١٧ في "المركز الفلسطينيّ" بواشنطن لتكريم حليم بركات، يقول "غريب" في كلمته التي ألقاها في حفل التّكريم: "إنَّ بركاتَ عبَّرَ له في أحاديثهما عن حزنه من "التطوُّرات" التي تعرفُها سورية.

ويضيف "غريبٌ": "من أكثر التطوُّرات التي سَبَّبَتْ أَلَماً لدى حليم في السنوات الأخيرة - بحسب ما سمعتُ منه خلالَ حديثي معه - المآسي التي حلّتْ بالعديد من الشعوب العربية (...). لقد كانَ حزنُهُ شديداً بسبب التدخّلات الأجنبية، وأعمال العنف، والإرهاب، والتدمير التي ألَمّتْ بالأرض التي وُلدَ منها وكبُرَ فيها وكان يأمَلُ بالعودة إليها".

لقد كانَ "حليم بركات" يُؤثرُ العودةَ إلى بلاده وهي عودةٌ يُثقلُها الشوقُ والحنينُ اللذان ظهرا بجلاء في رائعته "طائر الحوم" والتي نشرَتْها لأوّل مرّة دارُ توبقال المغربيةُ ١٩٨٨، وفيها يعودُ بركاتٌ إلى قريته "كفرون" محاولاً استعادةَ حياته التي يبدو أنه فقدَها هناكَ في بلاد الغربة، ولمّا كانَ صدْقُ الانتماء هو الأساسَ في اشتغالاته، أتَتْ روايتُهُ هذه مفعمةً بالشوق، نابضةً بالحنين إلى تلكَ الحياة التي تركَها عالمُ الاجتماع الكبيرُ ورحلَ إلى أميركا مدفوعاً بشَغَفه العلميّ وأبحاثه الأكاديمية، إلاّ أنَّ الشوقَ والحنينَ بقيا يسيطرانِ على عالمنا المبدع، مُعْلناً للجميع، بأسلوب أدبيٍّ غاية في الروعة والجمال الفنيّ والأسلوبيّ، إنه يريدُ العودةَ إلى مسقط رأسه ويستعيدُ مَواطنَ الطفولة والصّبا، ولهذا كانَتْ "طائرُ الحوم" بمنزلة سيرة روائية ومحاولة للخلاص من حالة الرتابة الأكاديميّة التي لَحقَتْ به في الغربة والمنفى، ورغبة أدبيّة في نقل حكايته من الخاصّ إلى العامّ، ومن العلاقاتِ بينَ المواطنينَ والمقيمينَ في أميركا إلى ما يجدُهُ العائدُ من مَنْفاهُ إلى بلاده من تغيُّر في المُعامَلة واختلاف في أساليب الحياة، بعيداً عن الرتابة وانعدام العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعيّة التي بقيَتْ ثاويةً في كيانه حتّى بعدَ سَنوات طويلة من الاغتراب.

وعلى الرُّغم من المنجزات الفكريّة والإبداعية التي حقّقَها حليمُ بركات في المغترَب إلاّ أنّه كانَ توّاقاً إلى زيارة أيّ مدينة في بلاده، أيّ مدينة تجعلُهُ على مَقْرُبَة من الثقافة والأصالة التي نشأ فيها: "إنني أتوقُ إلى زيارة حلب أو دمشق لأنْعُمَ بما أظنُّهُ أقربَ ما يكونُ إلى ثقافة عربية أصيلة لكَثْرَة ما تَعبَتْ نفسي بعدَ كلّ هذا الغياب بما يُسمّى حضارةً غربيةً حديثةً" كما يقولُ في روايته "المدينةَ الملوَّنةَ".

كيفَ لا وهو الذي ما فتِئَ ينظُرُ إلى نفسه على أنّهُ متخلّفٌ من العالَم الثالث، وأنَّ جسدَهُ مَنْفيٌّ في أمريكا الشمالية حيثُ يعيشُ، ولهذا يريدُ أنْ يُحلّقَ في فضاءِ قريته "الكفرون" بعيداً عن حضارة أمريكا المتوحشة "أنت أيَّتها الحضارةُ المقنَّعةُ أرفضُك.. أعْلنُك هزيلةً وحقيرةً". وكانَ الرحيلُ إلى قريته، كأسماك السَّلمون، ليجدَ الراحةَ والمتعةَ والعلاقات الاجتماعيةَ المتأصّلةَ في قلوب الناس الطيبينَ المتجذّرينَ في أرضهمُ المسقيّة بالوفاء والانتماء.

لقد رحلَ الأديبُ والمُفكّرُ الباحثُ حليمُ بركات بعدَ تسعينَ ربيعاً من العطاء والفكر والإبداع، وبعدَ أن أرسى بنهجه ومسيرته وعلمه قواعدَ الانتماء والوطنيّة، وهو ما يظهرُ بوضوح وجلاء في كتابه: "الهويةُ أزمةُ الحداثة والوعيُ التقليديّ"، كما كانَ حليمُ بركاتَ الأنموذجَ الأبهى للمُثقّف الطليعيّ بعلمه وانفتاحه المُتحرّر من قيود الدّين والطائفة والمذهب، والمُخلص لوطنه ومبادئه وانتمائه الوطنيّ الأصيل أينما كانَ.

نَعَمْ، لقد فقدتِ السَّاحةُ الفكريّةُ والإبداعيّةُ رمزاً باذخَ البهاء والعطاء من رموز الوطنيّة، رمزاً يحقُّ لمَنْ عَرَفَ سيرتَهُ ومسيرتَهُ وإنجازاته ومُؤلّفاته أن يقول: "رحلَ المُفكّرُ الحليمُ، وبقيتْ بركاتُ فكره وثمارُهُ مكتبةً مُتنقّلةً تفخرُ بها الأمّة".

أين هم المثقفون مما جرى؟

كتب: وجيه حسن

السؤال: أين المثقفون العرب حيال ما يجري على السّاحِ العربية؟ و«سورية والعراق ولبنان وليبيا واليمن والسودان، أمثلة حيّة صارخة» من تسليح وتقتيل، وتحريق وتدمير، وتنكيل وتخريب، وتكفير وتهجير؟ أغلب الظنّ، أنّ حفنة من المثقفين قد حيّدتْ نفسها وقلمها وموقفها وصوتها عن الرّصد، وقرع ناقوس الخطر لمجمل الوقائع السّاخنة، والأحداث الدامية، لسببٍ قد يكون مَرَدّه الخوف، أو الكفر بالهُويّة الوطنيّة من الأساس، أو «لغايةٍ مُبيّتةٍ بنفسِ يعقوب»! مثل هذا الموقف الانكفائي السّلبي المرفوض والمُدان، إنما هو بمنزلة تنازل مقصود لدور «المثقّف المُدوَّر»، كالرّصيد المُدوَّر، بانتظار ما ستُسفر عنه الأحداث والوقائع من تطورات ونتائج، عندها يتقدّم هذا «المُدوَّر» الصفوف، ليصبغَ وجهه وقلمه وصوته وأصابع يديه وأوردته والشّرايين، بالتلوين الذي يريد، وبالمساحيق التي يشتهي، ناشداً أنْ يضع قدمه - بعد طول غياب – على السكّة المُتوخّاة! ثم مَنْ منَ الكتّاب لا يعلم، أنّ من أبسط مسؤوليات الكاتب - المثقف، الذّود عن قضايا الحق والحرية والكبرياء لوطنه أولاً، ودفع كيديّة المُرْجفين، أصحاب الأقلام المأجُورة، والوجوه «القُزَحيّة» المسْفوحة هُزالاً وَضَعَةً حدّ الثّمالة، وأرباب الأصوات والمواقف والقنوات المُرتهنة لقوّة الدولار؟

أين المثقّف «السُّوبرمان»، الذي كان يملأ «بقلمه السيّال» صفحات كثيرات، بهذه الصحيفة أو تلك، بهذه المجلة أو سواها! مدافعاً - بأوقات الدَّعَة والرّخاء، والأمن والأمان – عن «دَوْر الكلمة بالحياة»، وعن «حريّة الكاتب ودوره، وعن حرية الوطن، وسيادة أراضيه»؟

الناقد الحصيف، يرى أنّ مثل هذا المثقف «المُوجَز» مكذابٌ على نفسه أولاً، على وطنه وجمهوره ثانياً، على حاضر الثقافة ومستقبلها ودورها عاشراً! لأنه لم يحترم شرفَ الكتابة والإبداع، ولم يكن أميناً على نتاجه الثقافي والفكري والمعرفي، الذي تنكّب دربه سنوات، عاداً إياه «السّبيل الأسمى والأرقى والأجمل في الحياة»... ثم لا بدّ من معرفة، أنّ كلّ «الشعوب»، تسعى وراء الممارسات الثقافية «لجعل وجودها أكثر ديناميّكية وحياة ومعنى»، فإذا لم يكن دوْر المثقّف كذلك، فإنه لا قيمة لما يصدر عن قلمه «الريّان»، وصوته «الرنّان»، ويكون كَمَنْ يحرث البحرَ سواء بسواء! ونحن لا نريد من مثقفنا أنْ يكون «يانوس»: «إله البوّابات الزمنيّة لدى الرّومان»، تقول الأسطورة: (إنّ «يانوس» كان يحرسُ بوّابات روما وأقواسها، وصُوِّر فنيّاً على هيئة رجل بوجهين، ينظر كلّ وجهٍ لناحية)!

تأسيساً على ما ورد، فإنّ الثقافة - بزَعْمنا – هي التربية والتّعليم والتّأديب والموقف، وتقويم الاعوجاج بالوعي والفكر والشخصية، وهي المُعبِّر عن خصوصية الجماعة والأمة، بإطار النظرة إلى الإنسان والحياة والكون..

ختاماً: هلْ أثّرت الثقافة الغربية المُعَوْلَمة في وجدان وذهنيّة ثلّة من الكتّاب والمثقّفين، بحيث أضحت ثقافة مُهيمنة سالبة؟ وهل كانت وحدها السّبب الرّئيس وراء انكفائهم عن نُصرة وطنهم، وهو يُذبَح أم كان عليهم دعم وطنهم، بأقلامهم، بأصواتهم، بمواقفهم، بقلوبهم، وهذا "أضعفُ الإيمان" أم إنّ "وراءَ الأكَمَة ما وراءَها"؟ وفي موقف وحالة عددٍ من الكتّاب والمثقّفين السّلبيين "خارج التغطية"، يقول شاعر:

"تَرَكَ المَجالَ لغيْرِه ... وَرَأى النّجاةَ مَعَ الفِرَار"

"لوْ أنَّهُمْ علِمُوا الّذي ... يُبْنَى لَهُمْ خَلْفَ السِّتار"...

كتبها: أوس أحمد أسعد

انسَ كلّ ما قرأت وابدأ الكتابة

صحيح أنّ درب الألف ميل يبدأ بخطوة كما يقال، والشّمس تلك العاشقة المخاتلة، تتوارى خجولةً متمنّعةً في ضبابها الشّفيف، وراء التلّة، ترنو بلهفة إلى عشّاقها الضّالين، أصدقاء الحرف وعذوبته وعذاباته، لكن لا لتمنحهم دفئاً شكليّاً وحسب، بل لتحرقهم حبّاً أيضاً، وترميهم إلى التّهلكة، إن لم يتقنوا فنّ «اتّقاء شرّ» أنوثتها الباذخة، من هنا يجب على ذوي الخبرة والمران وشيوخ الكار الذين زعموا الوصول إلى منابع الشّمس، أن يأخذوا بيد من اختار طريقه الشائك هذا، إلى هناك، عبر التّصويب والنقد الإيجابيّين، لكن هذا يعني أيضاً في الوقت نفسه، تجنّب الوقوع في شراك امتداح النّصوص التي صدّرها أصحابها إلى القارئ من دون تروٍّ، أو التّعالي النّرجسي عليها، بينما المطلوب ببساطة، الوقوف على مسافة موضوعيّة منها، بهدف تشذيبها، لا الحطّ من قدرها وإحباطها، وكلتا الطريقتين لو اتُبعتا بشكلٍ انفعالي، ستكون مجرّد مرور عابر لا فائدة ترتجى منه، أو مجرّد مرآة عاكسة لأمراض النّاقد القارئ وخلله النفسي والفنّي، والأهمّ من كلّ ذلك هو كثافة وعمق التجربة الوجوديّة والثّقافيّة للشخص ذاته، أقصد «كائن الكتابة»، فاحتراقاته بنيران التجربة وتطهّره برمادها، هما مولّدا الطاقة الجوهريّة التي تحرّك خزّان الإبداع لديه وتغذّيه.

إنّ نسر الجبال وحدَه ينطلق دفعة واحدة في السّماء الزرقاء خفيفاً ويعلو ثمّ يعلو حتى يغيب عن الأنظار، مثل هذا الانطلاق ينبغي أن يكون انطلاق كتابٍ جيّد.

هذا ما قاله شاعر داغستان الكبير «رسول حمزاتوف» في كتابه الماتع «داغستان بلدي» وأنا أقول إنّ مثل هذه الانطلاقة ينبغي أن تكون انطلاقة الأديب أيضاً، في فضاءات التجربة الأدبيّة، وعلى المستوى الشخصي أرى أنّ كتاب «حمزاتوف» المذكور، يشكّل محطّة مهمّة في ذاكرة كلّ مهتمّ بالقراءة والشّأن الأدبي والثّقافي من جيلنا على الأقل، فهو أشبه بنبع غزير لا تنضب مياهه في فنّ القول والبوح الأدبيين، ولا يتطلّب ممّن يرده، سوى الرغبة الحقيقيّة في المتح، فكلّما «ذقته طلبتَ المزيدا» أيّها الصّاعد إلى الجلجلة، درب الكتابة الخالد، المحفوفة بالانزلاقات والاحتراقات الوجدانيّة والوجوديّة الكبرى، ولا بأس هنا أن نستحضر النصيحة المعروفة لأحد أساتذة الشعر القديم، موجّهاً إيّاها لشاعر مبتدئ بكتابة الشّعر: اذهب واحفظ أربعة آلاف بيت من الشعر ثمّ عد إليّ، وحين عاد بعد مدّة من الزمن، مؤكّداً أنّه حفظها، قال له ببساطة: الآن، انسَ ما قرأت وابدأ بالكتابة، وقد تكرّر هذا القول بصيغة أو بأخرى، في العصر الحديث على لسان كلّ من الكاتب الأمريكي اللاتيني الكبير «ماريو فارغاس يوسا» برسائله إلى شاعر شاب، والشاعر الألماني المعروف «ريلكه» بنصائحه لنفس الشريحة من الكتّاب في مرحلة الشباب، وبالتأكيد يجب ألا نأخذ النّصائح بمعناها الحرفي، بل بجوهرها ومجازها الواضحين، اللّذين يؤكّدان ضرورة اشتراك ملكات إنسانيّة كثيرة «حدسيّة، معرفيّة» في عمليّة التّلقي هذه، مع توّافر شرط الموهبة بالدرجة الأولى، بمعنى، امتلاك «عين ثالثة» تمتحُ ماءها من بئر القراءة الكثيفة، والهضم المتأنّي للمقروء المتنوّع المشارب وعدم التعجّل في تصدير المنتج قبل التأكّد من قدرته الحقيقيّة على المنافسة بالمعنى الإبداعي، فمراكمة الكائن لخبراته وزاده المعرفي سيشكّلان بالضرورة، سواء أكان واعياً لتلك التّخمّرات الحاصلة في الخفاء، أم لا، ذخيرة متنوّعة لا تزول وتختفي في العدم، بل تتحوّل بكل فلزّاتها وعناصرها الفنيّة المصهورة إلى نتاج فنّي ومعرفي وجمالي متقن السّبك، حسب تمكن صاحبها من أدواته، وذلك عبر عمليّة كيميائيّة معقّدة تخصّها، يمكن الوثوق بقيمتها، في حال توفّرت الذائقة النقدية المرافقة لها، واللّازمة لصقلها عند منتجها أوّلاً، ليتمكن من فرز الحنطة من الزؤان.

ثمّة الكثير من النتاجات المصدّرة للمستهلك «القارئ» هذه الأيام، التي كانت سبباً في تحفيز هذه التأمّلات النقديّة، وهي لا تقف عند جيل الشباب بل هناك الكثير من الغثّ في نتاجات من يعدّ نفسه بمنأى عن النقد محصّناً بعمره الطويل وإصداراته الكثيرة واحتفاء الإعلام به بطريقة أو أخرى، وإنّني أؤكّد أنّ هذه المقالة تمسّه وتمسّنا جميعاً في الصّميم، نحن هواة الكتابة والمحترقين بنيرانها المقدّسة، وربّما نستطيع بالقياس أن نطبّق شيئاً من هذا القول على الكثير من النّتاجات التي غاصت في توجّهها الإيديولوجي وغدت أشبه بفقاعات صبيانيّة أو بيانات حزبيّة فجّة لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به، وبهذا المنحى يصبُّ قول المنظر البلغاري «تزفيتان تودوروف»: (كانت بلغاريا آنئذ جزءاً من الكتلة الشيوعيّة لذلك لجأتُ إلى موقف كان يتبنّاه كثير من مواطني بلدي في العلن، إذعان صامت أو بطرف اللّسان للشعارات الرسميّة، وفي السرّ حياة كثيفة من اللقاءات والقراءات المتوجّهة خصوصاً نحو مؤلّفين لا يمكن اتّهامهم بكونهم ناطقين بلسان المذهب الشيوعي، كان لا بدّ لي من اكتساب أدوات جديدة للعمل، أحسستُ بالحاجة إلى الاستئناس بمعطيات ومفاهيم علم النفس، والأنثروبولوجيا، والتاريخ، فالأدب لا ينشأ من الفراغ، بل في حضن مجموع من الخطابات الحيّة التي يشاركها في خصائص عدّة، فهو يثرينا لا نهائيّاً ويزوّدنا بإحساسات لا تعوّض تجعل العالم الحقيقي أشحن بالمعنى وأجمل، إنّه يتيح لكلّ واحدٍ أن يستجيب لقدره في الوجود إنساناً).

الطفل والتراث

كتب: د. محمد جهاد الجمل

إنه لمن الطبيعي أن نواصل اهتمامنا بالطفل على أنه يشكل حجر الزاوية في سعينا المتواصل لخلق مجتمع متوازن، ولعل العالمة السويدية BLLENKY كانت قد تنبأت أن يكون القرن العشرون هو (قرن الطفل) وقد صحّ تنبؤها ففي عام 1932 أعلن عن قيام الاتحاد الدولي للطفولة، وكان من أهم أهدافه (العناية بحقوق الطفل)، وفي عام 1946 عقد مؤتمر بميلانو حول الطفل، وفي الخمسينيات أنشئت منظمة UNICEF لرعاية الطفولة بينما صدر في عام 1959 ميثاق حقوق الإنسان عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي عام 1976 أعلنت الأمم المتحدة على أنه عام الطفل، وعلى الرغم من هذا الاهتمام الأممي برعاية الطفل نرى بعض الإهمال لهذا الكائن في بعض مجتمعاتنا العربية، وقد يعود ذلك إلى الترسبات الحضارية والموروث الجماعي لمجتمعاتنا مما له دور في توجيه تصورنا للطفل ونمط تعاملنا معه، فالاهتمام والرعاية تقتصر على مرحلة الطفولة التي يكون الطفل فيها غير قادر على الاكتفاء، فإذا ما تعدى هذه المرحلة المبكرة يمر إلى عالم الكهول ليشاركهم أعمالهم وألعابهم، وبذلك يمر من مرحلة الوليد إلى مرحلة الكهل المصغرة.

ولم تتضح أساليب رعاية الطفل في المجتمعات التقليدية لأن تلك المجتمعات كانت توظّف طاقاتها في الأعمال الفلاحية أو الحرفية التي لا تحتاج إلى مهارات متخصصة، لكن مع قيام الثورة الصناعية في القرن السابع عشر وازدهار الطبقة البرجوازية، ظهر مفهوم الطفولة كمرحلة متميزة في حياة الفرد، في هذه الفترة زادت الحاجة إلى أفراد مهرة في القراءة والكتابة والحساب، ومن هنا جاءت ضرورة تعليم الأطفال.

في المقابل يزخر التراث العربي الإسلامي بالاستشهادات التي تتحدث عن الطفل وطرق تربيته، فعلى حين كانت الحضارة اليونانية تئد أطفالها المشوهين في أثينا وإسبارطة، نقرأ في القرآن الكريم: (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)، ومن قول الرسول: "من كانت له أنثى لم يئدها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة"، وهكذا برز مفهوم الطفولة في التراث بتصور إيجابي للطفولة يرتكز على مسلمات منها:

.المسلّمة الأولى: أن الطفولة فترة متميزة من فترات الحياة كما قال (روسو).

.المسلّمة الثانية: الطفولة فترة إيجابية في حياة الفرد.

.المسلّمة الثالثة: هي التسليم بحق الطفل (ككائن حي) في التمتع مع ما ينجر عن ذلك من احترام لشخصه، فلا يحق معاقبته بدنياً، وفي النصوص التراثية (النصوص الفلسفية (إخوان الصفا، أحمد بن مسكويه)، والنصوص التربوية (ابن الجزار القيرواني، القابسي، محمد بن سحنون، ابن خلدون، والنصوص الفقهية (أبو حامد الغزالي)، وهكذا نستقصي صورة الطفل في بعض كتب التراث:

يقول "يولد الطفل كالصفحة البيضاء التي لم يكتب عليها شيء والتي بإمكاننا أن نكتب عليها كل شيء" ويقول الغزالي: "وقلب الطفل الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وهو قابل لكل نقش وصورة مائل إلى كل ما يملى عليه، وإن عُوّد الشّر وأهمل إهمال البهائم شقي وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والولي به" (الإحياء ج3، ص 62).

ويرى ابن الجزار القيرواني أن "الصغير أسلس قيادة وأحسن موالاة وقبولاً" (سياسة الصبيان، ص 135).

ويرى أحمد بن مسكويه في تهذيب الأخلاق "إن نفس الصبي ساذجة لم تنقش بصورة بعد ولا لها رأي أو عزيمة تمليها من شيء إلى شيء آخر" (ص 69).

ويقول أبو الحسن علي القابسي: "الطفل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها وما يدفعه عنها، وليس له ملجأ إلا لوالده".

من الملاحظ بعض علمائنا في محاولتهم لتفسير الطبيعة الطيعة للطفل تشير إلى أنهم عدّوا أن الطفل كائن ناقص (عقلياً، وإرادياً، واجتماعياً) خلافاً للكهل المكتمل، وهي صورة سلبية نحتوها عن الطفل.

أما أن الطفل كائن خبيث، شرير: فقد صوره أبو حامد الغزالي بقوله: إن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الخلق كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لجوجاً ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب" (الإحياء، ج 3، ص73) ويشير أبو الحسن القابسي إلى "أن الصبيان تجري بينهم الحمية والمنازعة".

(الرسالة، ص 130)، لذا يجوز إكراه الطفل وتحل معاقبته، وقد فصل القابسي في تقنين العقوبة.

ومما يزيد صورة الطفل السلبية في بعض كتب التراث: الموازنة بين الطفل والعبد والمرأة في المعاملة عامة والزجر والعقوبة بصفة أخص، ولقد سبقهم إلى ذلك أفلاطون: "إنه من واجبنا أن نعامل الطفل كما نعامل العبيد، مع الانتباه إلى أننا هنا نؤدب أحراراً" القوانين، (vii. 793).

فخطاب الطفل كما يبدو في بعض كتب التراث يعكس لنا صورة سلبية عن الطفولة فهو كائن طيع، منعدم الإرادة، نشأ على الخبث والشر أساساً، لذلك من موجبات تربيته العقوبة ووضعية الطفل هذه لا تختلف عن وضعية العبد والمرأة، وهي بالطبع وضعية تبعده عن مفهوم الطفولة الحق.

ولتكوين الطفولة لا بد من توافر شروط منها بلوغ المجتمع مستوى من الرفاه الاقتصادي والاجتماعي عندها فقط يستغني المجتمع عن عمل الأطفال وتشغيلهم، والاعتراف بطفولتهم وبحقهم في الإعداد والتعليم والتثقيف، عندها يبرز في هذه المجتمعات مفهوم الشخص، فالشخص، والطفولة متلازمان، لأنه لا يمكن تصور حضارة تغفل الفرد وحقوقه، وبذلك يبرز مفهوم الطفولة وهكذا فمفهوم المساواة تتضمن الفرد مهما كان جنسه أو عرقه، أو مستواه الاجتماعي أو الاقتصادي والسن.

ونحن نقلب في تراثنا الحضاري نجد أنه زاخر بالإيجابيات لو أحسنا تطويره وتوظيفه في تعليم أطفالنا وتنشئتهم بما يضمن لهم شخصية قوية ومتوازنة لمواجهة التحديات، والانحرافات.

وتراثنا مملوء بالمفاخر وعلى المربي أن ينقل إلى الطفل هذه الصورة الإيجابية عن ماضيه لأننا بحاجة إلى تنشئة طفلنا على إحساس يجعله يعتز بماضيه ويجعل ما يتضمنه من جوانب مشرقة سنداً قوياً في الإحساس بوجوده وذاته في قلب الحضارة الإنسانية المعاصرة، عندها تبنى شخصيته ليحقق نموذج الإنسان المنشود، هنا يبرز دور أن يكون التراث أداته الفعالة وفي ذلك يشكل ماضي الأمة وإرثها الثقافي جوهره العميق.

أخيراً ليس من المعقول ألا يكون التراث مكوناً أساسياً في بناء الحضارة الإنسانية بشكل عام وفي بناء مكونات الشخصية الفردية بشكل خاص، على أن ننتبه إلى أن التراث لا يعني ما ينعته بعضهم بالسلبية، أو أنه يعني الانصراف عن الحاضر والنكوص شبه منهزمين إلى الماضي، فالتراث والحداثة (المعاصرة) لا يدفعنا إلى الاعتقاد أن التراث ماض انتهى، وأن الحداثة هي الحاضر والمستقبل هنا نفقد إمكانية تحديد ماهيتنا وهويتنا، ونسمح لدعوات بعضهم في قطع الصلة بالماضي والاستهانة بأمجاده، وما التنكر للتراث إلا إغفال للنظر إلى حقيقة الإنسان وأبعاده الزمانية، فالإنسان السوي رهين أبعاده (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، فالإنسان قادر على احتواء الماضي وارتياد مكوناته واستيعابها لاتخاذها أساساً لبناء الحاضر والتطلع نحو المستقبل.

في رحيل شاعر الخابور - جاك صبري شماس

كتب: أحمد الحسين

ستة أعوام من حزن الصفصاف توالت على رحيل شاعر الخابور /جاك صبري شماس/، ستة أعوام تعاقب يباس فصولها وكدر أيامها ونهاراتها، وجرح القصيدة ما يزال ينزف دماً أخضر من مداد الكلمات، ستة أعوام ومشهد لقاء ما قبل ليلة الوداع بك أيها الراحل ما فتئ يستحوذ على مساحة الذاكرة، يوم زرتكَ والصديق الشاعر /منير خلف/ في بيتك الذي كان على الدوام مقصد الأصدقاء وواحة الشعراء والأدباء.

ورغم أنّ الموت قد نصب شباكه من حولك، وأن مخالب المنية قد فتكت في خلايا جسدك على نحو خفي، فأنت لم تكن تشكو أو تتألم، بل كنتَ تتمثل حكمة الآباء والأجداد: «الحُرّ إذا وقع في الشرك ما يلاوي» أي لا يجزع ولا يضطرب.

ربما فاجأتك الزيارة المباغتة حينها لأنها اقتحمت أسوار العزلة التي ضربتها على نفسك، لكنها بالتأكيد، وكما طفح على مُحيّاك ودبَّ في أسارير وجهك المتعب، نمتْ عن سرور أنعش الذات المتعبة والذاكرة المشوشة بعلب الدواء المبعثرة من حولك، قد يكون ذلك أيضاً لأنها حملت لك عبير وفاء أخوي، وصداقة عميقة، ترجمتها القبلات الحارة التي طبعتها الشفاه على رأسك ويديك ووجنتيك.

ساعتئذٍ أخذتنا الأحاديث في دروب ومسالك شتى، أنستنا شبح المرض المخيم من حولنا، نقلتنا إلى مشاوير وأمسيات ومنابر ولقاءات وسجالات وحوارات، وكشفت عن لحظات التجلي في ليالي الحسكة، وسهرات ناديها الزراعي، وجلسات عشاقها وثمالات كوؤس نداماها التي كانت تبوح بما يُقال ولا ما يقال من أسرار وانكشافات.

كنتَ تبتسم لحديث الذكريات، وكنا وأسرتك الملتفة من حولك سعداء بذلك، إذ نسينا المرض وشغلنا عنه وشتت انتباهنا عن أن المسافة بينك وبين الموت لم تكن سوى ساعات، حتى إذا غادرناك ظلت هذه الصورة المشرقة تفيض في الوجدان دفئاً، ولما ينطفئ وميض بريقها إلى اليوم، ودّعناك وأنتَ في لحظة كنتَ تعدّ نفسك لرحلة لا عودة منها ولسفر طويل لا يؤوب غائبه، وهكذا حزمت حقائبك صبيحة اليوم التالي السابع عشر من شهر حزيران 2017 لتغادر محطة الحياة إلى الأبد.

صوتكَ يا أبا صبري، ضحكاتك، دواوينك الأربعون، التي غرست على ضفاف الخابور وامتداد الساحة السورية والعربية، كلها تعيد الذكرى وتنكأ الجراح، لكنها تجعل من حضورك الشخصي والإبداعي حقيقة لا تغيب، ماذا نقول في شخصك، وقد كنت نقيَّ السريرة، صادقاً مع الذات، صوفي المبادئ في انتمائه إلى وطنه وعروبته وإلى الإنسانية جمعاء؟ ماذا نقول وهذا شعرك وثيقة تقول إنك لم تكن محايداً، دافعت عن الفقراء والبسطاء، وأحببت الناس، ناصرت الحق وساندت المقاومة، مجدت الشهادة والشهداء، وعشقت الأرض، دافعت عن التآخي والتسامح بين العقائد والمذاهب والأديان؟ فطوبى لروحك الخالدة في ذكرى رحيلك السادسة، وهي ترتل في عالم الغيب..

إنّي مسيحيٌّ أجلُّ محمدا

وأجلُّ ضاداً مهدُهُ الإسلامُ

كحّلتُ شعري بالعروبة والهوى

ولأجل طهَ تفخرُ الأقلامُ

أنا شاعرُ الخابورِ أمهرُ كلمتي

وإلى العروبة صفوةٌ ومقامُ

قراءة في قصيدة (خلوة الصوفي) للشاعر محمد البريكي

كتبت: فاطمة حيدر العطا لله

يُعدُّ التصوف موضوعاً ذا صلة وثيقة بالأدب، وقد تأثر الشعراء بالتصوف؛ فمنهم من تظهر في قصائده نزعة صوفية عالية تنبع من حاجتهم إلى الجنوح إلى عالم بعيد عن عاديّة العالم المادي، الذي يتناقض مع العالم الشعري الذي يسبح فيه الشاعر الحالم؛ ومن هنا جاءت الحاجة إلى تسليط الضوء على البعد الصوفي لتتبعه، ونتناول هنا قصيدة الشاعر محمد البريكي التي يقول فيها:

في خلوةِ الصوفيِّ تحرقُ مدمعَكْ
يا أيُّها الباكي سكوتُك ضيِّعَكْ
لم تلقَ إلّا ثوبَ حزنِكَ سامعاً
لم تدرِ هل رقَّعته أم رقَّعكْ
شهقَ الرصيفُ وأنت تحضنُ ضلعَه
والطيرُ يسألُ من سيحضنُ أضلعَكْ
وطنٌ تنامُ على حروفِك عينُه
أخبره عن جرحِ الشتاتِ ليزرعَكْ
أخبرهُ عن سرِّ التبتُّلِ والجوى
فلربَّما يحنو ويكملُ مطلعَكْ
واخرج من المحرابِ بعدَ تصومعٍ
فلطالما احترقَ الحنينُ وصومعَكْ
واركب على خيلِ القصيدةِ داعياً
سيكونُ ربُّ الكونِ في المسعى معَكْ
واطرق كيوسفَ بابَه وشعورَه
يا أيُّها المسجونُ قل ما أفزعَكْ
سيبوحُ سلطانُ الشعورِ بأمرِه
وتبوحُ أنتَ بما شقَاك وأوجعَكْ

يغزلها بخيوط صوفية بديعة، ومناخ عال من الدهشة والخيال والحب والنشوة والموت، الذين يُعدُّون ركائزَ السمات الصوفية التي يتبناها الشاعر المتصوف؛ والتي تتحد وتتماهى إلى حد كبير مع العالم الشعري الذي ينضح من المنبع نفسه؛ منبع الفوقانيات واللاعادية والخيال.

ولعلَّ استخدامَ الشاعر (في خلوة الصوفي/أيها الباكي)، في مطلع قصيدته انذارٌ لاتحاد الذات الشاعرة بالذات المتصوفة، والبكاء هو القاسم المشترك بين الشاعر والمتصوف؛ عند الشاعر الذي يبكي من أصابعه، وعند المتصوف الذي يأخذ من الألم أي البكاء طريقاً للضوء، ومن هنا كان التصوف المؤثر الفاعل في الأدب لتشابه التجربتين وخصوصيتهما؛ فالأدب، ونريد هنا (الشعر)، يتقاطع والتصوُّفَ بوصفهما تجربتين خاصَّتين لا عاديَّتين في كثير من النقاط التي لا يمكن تأطيرها وتحديدها؛ كالخيال والمعرفة والحدس واللغة، وربَّما هذا التشابه بين التجربتين في أكثر من مَلْمَح عائد إلى الغاية الوجودية لكلٍّ من الصوفيِّ والشاعر، اللذين يخوضان مغامرة الكشف ذات الخصوصية الاستثنائية؛ هذه الخصوصية التي تميِّزهما عن الإنسان العادي.

وإذا ما تحدثنا عن السمات الصوفية في النص فإنَّنا نجد السكوت السمةَ الصوفيةَ التي تأخذ معنى النقيض وهو الكلام؛ فالسكوت في التجربة الصوفية هو الوجه الآخر للكلام الذي يقدم فيه كلٌّ من الشاعر والمتصوِّف تجربته الكلامية والوجدانية، ونجد هذا في النص في قوله: (سكوتك ضيعك)؛ والضياع أيضاً من السمات الصوفية التي يلبسها الشاعر والمتصوف، والقصد من الضياع هو التوحد والتماهي اللذان يرسمان الطريق في كلا التجربتين.

ثم ينتقل الشاعر إلى الحزن، الذي يرادف معنى الامتلاء؛ فالشاعر والمتصوف يمتلئ قلبهما بالحزن الذي يجنحان منه إلى المراد، وهو الملاذ الأخير له، والعذاب بالذي يتلذذ به ويسافر فيه إلى عوالم الـ(فوق)، وعندما نتمعن في النص نجد الخيال عاملاً أساساً استند إليه الشاعر بصورة غير تلك الصورة العادية التي يستعملها الشاعر العادي، أما هنا؛ فإنه يقدم به تجربة خاصة تظهر من خلال تصاويره البديعة: (شهق الرصيف - تحضن ضلعه __ ثوب حزنك __ رقعك)، ويشكّل الخيال في التجربتين الصوفية والشعرية المنطلقَ الذي يقوم عليه كلٌّ منهما والذي يؤدي إلى المعرفة عند الشاعر والمتصوف، لذا فالخيال سبيل إلى المعرفة في كلتا التجربتين؛ وهذا من أهمِّ الملامح المشتركة التي يمكن أن نستنتجها فيهما، ونتبيَّنها في كلٍ من الشعر والتصوف.

ونحن، إذ نتحدث عن الخيال في التجربة الشعرية، نقصدُ عجينةَ الإبداع التي يتشكل منها؛ فالخيال هو عالم الشاعر الذي لم يكتفِ بالواقع عالماً، ولم يجد فيه ما يريده ويناسب طموحاته وإراداته، فجنح إلى عالم آخر عن طريق الخيال ليستطيع أن يعيش في عوالم تشابه ما يتطلع إليه، وهذا الجنوح إلى الخيال نافذة يطلُّ منها على ذاته والعالم بعد خيبته من العالم الحسيِّ الواقعي، وهذا هو السبب الذي يدفع الشُّعراء إلى التحليق والتجاوز بغرض انبثاق واقع جديد خارج مدار الاعتياد، وهو عالم مثالي يتنافى مع العالم الحسي المملوء بالتناقضات والخيبات، والأمر ليس مختلفاً في التجربة الصوفية التي تُعَدُّ كشفاً إنسانياً معرفياً ينطلق من الخيال الذي ارتكزت عليه وأعطته وجوداً أسمى لغاية التجلي التي لا يحققها العالم الواقعي الحسي؛ لذا كان الولوجُ إلى الخيال سفراً نحو الحقيقة في هذه التجربة اللاعادية.

وإنَّ المناخَ الصوفيَّ في النص واضحٌ جَلي، تتجلى معانيه من خلال استخدام المصطلحات ذات الطابع الصوفي الطوباوي التي نجدها ذاتها في التجربة الصوفية، كقول الشاعر: (التبتل، الجوى، المحراب، حزنك، الشتات، ضيعك...).

والسمة الأخرى التي يجب أن نلمسها في النص، هي سمة الحب التي تتشابه مع سمة الضياع، ونجدها في قول الشاعر: (أخبرهُ عن سرِّ التبتل والجوى)، في إشارة لاذعة إلى هذه السمة التي لطالما كانت سمة رئيسة وأساساً في التجربة الصوفية والشعرية، والإشارة إلى (السر) هي أيضاً قراءة لتجربة صوفية واضحة تحط عند هذا المصطلح.

كما نجد الشاعر في هذا النص يتخطى المحسوسَ وينعطف نحو الباطن؛ وهذا عائد لما في التصوف من قدرة على مناسبة الحال الشاعرة، لما فيه من تحسس للباطن والاختراق الكبير للدخول إلى عوالم نفسية أكثر حساسية، واتحاداً بالذات وانصهاراً باختلاجاتها؛ فإنَّ الشعر الصوفي قائم على التجاوز (تجاوز الواقع وتجاوز المحسوس) لذا ليس غريباً أن يتعامل مع الباطن؛ ونعني هنا بالباطن باطن كل شيء باطن الشاعر (المبدع) وباطن الموجودات التي يتحسسها في تجربته الخاصّة، فنراه يحلق:

واركب على خيلِ القصيدة داعياً
سيكون ربُّ الكونِ في المسعى معكْ

ومن تخطي المحسوس والانعطاف نحو الباطن إلى مفهوم الاحتراق؛ هذا المفهوم الذي تذوب فيه ذات الشاعر لنطلع كالفينيق من جديد وبروح أكثر تجدداً، لذلك فالاحتراق هو الحاجة الأهم لدى كلٌّ من الشاعر والمتصوف:

واخرجْ من المحراب بعد تصومعٍ
فلطالما احترق الحنينُ وصومعكْ

ولا يخلو النص من التناصَّات والرموز الدينية التي تعطيه الرونق والماء؛ فنرى الشاعر يلبس هذا التناصَّ ليسبغ على نفسه هذا الانصهار، فنراه يذكر (يوسفَ) في شعوره وسجنه، وكأنه يخاطب به، ويريد أن يلبس حالته الشبيهة بحاله، لذا فهو يذكره ويستحضره حضوراً واضحاً:

واطرقْ كيوسفَ بابَه وشعورَه
يا أيها المسجونُ قل: ما أفزعكْ!

وأخيراً، نجد البوح هو المخلِّص والغاية التي يصل إليها الشاعر؛ البوح الذي يُعدُّ، مناقضاً للسكوت الذي تحدثنا عنه، سمةً أخرى من سمات التصوف، كما نجد أن الشعور هو الأهم والأبقى، والمحصلة التي يصل إليها في نهاية الطريق:

سيبوحُ سلطانُ الشعور بأمره
وتبوحُ أنتَ بما شقاكَ وأوجعَكْ

والبوح والشعور هما نتيجة هذه التجربة التي يخوض فيها الشاعر امتزاجاً لا عادياً بالموجودات وبذاته المتعبة التي تجد في الشعر والعالم الصوفي، الذي يبنى على الفوق ويتنافى مع العالم العادي، غايةَ وجودها.

مكتبة بطرسبورغ المكتبةُ الوطنيّة في روسيا

كتب: اسكندر نعمة

تُعدُّ المكتباتُ في كلِّ أرجاء المعمورة، المراكزَ الثّقافيّة الأكثرَ إشعاعاً وألقاً معرفيّاً، عبرَ كلِّ مراحل التّاريخ الحضاريّ، مهما امتدَّ وتقلَّب بين الصّعود والهبوط، فإذا قلّبْنا صفحات التّاريخ، فإنّنا نعثُرُ على مكتبات مُغرقة في القِدَم كمكتبة الإسكندريّة، ومكتبة أثينا، ومكتبة بغداد وسواها، كما نعثُرُ في الأيّام المعاصرة على مكتبات ضخمة ذات شأن موسوعيّ كمكتبة الكونغرس في واشنطن، والمكتبة البريطانيّة في لندن، ومكتبة موسكو، والمكتبة الوطنيّة في باريس، وصولاً إلى مكتبة الأسد في دمشق، وغيرها من المكتبات العديدة.

عُرفَت المكتبةُ الوطنيّةُ في روسيا أو مكتبةُ بطرسبورغ باسم مكتبة «ستاليكوف شيدرين»، وهي تُعَدُّ أقدمَ مكتبة عامّة في روسيا، وفي الوقت ذاته تُعَدُّ إحدى أكبر المكتبات في العالم أجمع، إلاّ أنّ أهمَّ ما يميّزها، أنّ لها علاقات تبادُل ثقافيٍّ ومعرفيٍّ مع أكثرَ من ألفين وستّمئة مُنظَّمة ثقافيّة وفكريّة منتشرَة في مئة وتسع دُوَل في أنحاء العالم.

يعودُ تاريخُ إنشاء هذه المكتبة إلى العام١٧٩٥، إلاّ أنّها لم تفتح أبوابَها للقُرّاء والباحثين إلاّ في مُستهلّ العام ١٨١٤ وقد لعبَت هذه المكتبةُ نظراً لغزارة وتعدُّد محتوياتها الفكريّة والمعرفيّة، دوراً رئيساً وفعّالاً في تطوير الحياة العلميّة والثّقافيّة في روسيا أوّلاً، ومن ثمَّ في محيطها الجغرافي والعالم، وخاصّةً في الحقبة السّوفييتيّة، وما تزالُ حتّى الآن تقوم بهذا الدّورِ الرّياديّ، وقد عمل على إشادة هذا الصّرح الثّقافيّ وتطويره، مجموعةٌ مرموقةٌ من رجال الفنّ والفكر والأدب، من أشهرهم: المؤرّخ والفنّان أليكسي أولينين، والكاتب القصصيّ والرّوائيّ إيفان كريلوف، والشّاعران قسطنطين باتشيكوف، وأنتوني دلفج، ورائدُ البيلوغرافيا الرّوسيّة فاسيلي سوبيكوف، واللُّغويّ الشّهير نيكولاي مار، وجديرٌ بالذّكر أنّ كثيراً من أعلام الفنّ والفكر والأدب في روسيا كانوا من رُوّاد هذه المكتبة، ويعدّونها مرجعَهم الأوّلَ والأخير من أمثال: ألكسندر بوشكين – نيقولاي نكراسوف – ليو تولستوي- مكسيم غوركي – إيفان بافلوف – وغيرُهم كثيرون.

لم تكن هذه المكتبةُ الثّريّةُ بأصناف المعارف والعلوم، مركزاً ومرجعاً ثقافيّاً فحسب، بل كانت أيضاً مسرحاً مركزيّاً للفعاليّات والأنشطة الثّوريّة، فقد كان للقائد الثّوريّ التّاريخيّ فلاديمير إيليتش لينين دورٌ كبيرٌ في نشاط وتفعيل هذه المكتبة وتعميق دورها الثّقافيّ والجماهيريّ وتطويرها لتُصبحَ إحدى أهمّ المكتبات في العالم، فقد عمل لينينُ فيها بين الأعوام ١٨٩٣ و-١٨٩٥ والتقى فيها بشكل سرّيٍّ بأعضاء مجموعات ثوريّة، وساهمَ مع آخرين في تطوير أُفق المكتبة، وإنجاع خدماتها، وتوسيع إشعاعها لتشملَ أوسعَ قُطاعات الجماهير في روسيا، لقد سارت المكتبةُ في مسيرتها الثّقافيّة والمؤسّسيّة على هدى المبدأ الذي رسمه لينين والذي يقول: «إنّ مجدَ المكتبة العامّة وفخرَها، لا يتمثّلُ في عدد ما تملكه من المؤلّفات النّادرة فحسب، بل في تداول النّاس لهذه الكتب والإقبال عليها، وفي تدفُّق القُرّاء الجُدُد، وفي مدى تلبية طلَبات القُرّاء لهذه المُؤلّفات»، وجديرٌ بالذّكر أنّ عددَ رُوّاد هذه المكتبة في الوقت الرّاهن، يُقدَّرُ بحوالَي أربعة آلاف قارئ هل هو رقم ثابت بمعنى يومي مثلاً؟

في الخامس من كانون الثّاني لعام ١٩٠٥، ألقى مكسيم غوركي على أحد مدرّجات هذه المكتبة خطابَه الشّهير الذي دعا فيه الشّعب إلى مُحاربة الأوتقراطيّة، مُنْدّداً بحكم الفرد المُطلَق والتّسلُّط القيصريّ آنذاك.

أثناء الحرب العالميّة الثّانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ نُقلَ قسمٌ من مُحتويات المكتبة وتُراثها إلى السّراديب، على حين إنّ الكتب والمخطوطات الثّمينة والفريدة نُقلَت إلى الأرياف، وذلك لحمايتها من يد العبَث والتّلف والتّدمير، في وقت كانت فيه جلجلةُ القَطيع النّازيّ تُهدّدُ روسيا وأوروبّا بأكملها.

إنّ مكتبة بطرسبورغ «المكتبة الوطنيّة في روسيا»، تُعَدُّ إحدى أغنى مكتبات العالم الحاليّة بتُراثها ومُحتوياتها، إذ يبلغُ عددُ ما فيها من كتب ومخطوطات ودوريّات ومراجع ٢٨ مليون مجلَّد ونيّف، وطبيعيٌّ جدّاً أنّ مجموعة الكتب الرّوسيّة التي يبلغُ عددُها ستّةَ ملايين كتاب هي أكملُ المجموعات وأكثرُها عدداً في كلّ مكتبات العالم، وهي تشملُ مؤلّفات بالرّوسيّة والبيلوروسيّة والأوكرانيّة، ولعلَّ أحدَ أسباب هذا الغنى التُّراثيّ يعود للقانون الّذي سُنَّ عام ١٨١٠ والّذي يقضي بإلزام كلّ ناشر أن يُهدي المكتبةَ نسختين من كلّ كتاب ينشرُه، وجديرٌ بالعرفة أنّ مكتبة بطرسبورغ تذخرُ بمجموعة فريدة من نوعها من المؤلّفات الكلاسيكيّة الماركسيّة اللينينيّة الّتي صدرَت في روسيا، والّتي يبلغُ عددُها ١٩٠٠٠ مؤلّف، ومن بينها ٣٠٠ كتاب من مؤلّفات ماركس وأنجلز ولينين وستالين، أضف إلى ذلك جميعَ نتاج الأدباء والمفكّرين الّذين نُشرَت كتبُهم قبل ثورة ١٩١٧ من أمثال بوشكين وغوغول وتشيخوف ودستويفسكي وتولستوي وسواهم، أمّا مجموعةُ الكتب الأجنبيّة فيصلُ عددُها إلى خمسة ملايين نسخة تُعنى بشتّى شؤون العلم والمعرفة والفنّ، ومن الطّريف حقّاً وجودُ نسخة من أمر نابليون بونابرت بغزو روسيا، وفي المكتبة أيضاً مجموعةٌ ضخمةٌ من الكتب والدّوريّات الصّادرة بلغات سلافيّة أُخرى كالصّربيّة والبلغاريّة والسّلوفاكيّة والبولونيّة، ويضمُّ قسمُ الآداب من المكتبة مطبوعاتٍ بستٌّ وثمانين لغة تشملُ كلَّ لغات القوميّات صغيرها وكبيرها التي كانت تعيشُ في كنف الاتّحاد السّوفييتي، أمّا فيما يتعلّقُ بمطبوعات آسيا وأفريقيا، فهناك ما يقربُ من ٤٣٤ ألف مطبوعة ومخطوطة، منها على سبيل المثال: كتاب قانون الطّب لابن سينا الذي طُبعَ في العام ١٥٩٣.

ويبقى أن نُشير إلى أنّ مكتبة بطرسبورغ تحتوي في خزائنها على أكثرَ من ٤٠٠ ألف مخطوط مُغرق في القِدَم، ويعودُ أقدمُ مخطوط روسيّ إلى العام ١٠٥٦- ١٠٥٧ وهو نسخةٌ من الإنجيل المُترجَم إلى الرّوسيّة، وكذلك ٦٠٠٠ مجلَّد مطبوع من الكتب النّادرة التي طُبعَت قبل العام ١٥٠١ وهي كتبٌ يندرُ وجودُها في مكتبات أُخرى.

يعثُرُ الباحثُ في خزائن هذه المكتبة على نسخ من القرآن يعودُ تدوينُها إلى القرنين التّاسع والعاشر الميلاديّين، وكذلك على مخطوطات عربيّة من القرنين الثّالث والرّابع عشر تدور حول فقه اللّغة والطّب والجغرافية والفلك والرّياضيّات، وما تزالُ كلُّها مخطوطاتٌ لم تُطبع بعد.

عجاج الفرات الأوسط... بين العلم والأدب

كتب: أسعد الفارس

على الرغم من تعدد دلالات مصطلح الفرات الأوسط.. إلا أننا نعني في المقالة مدناً وقرى وأريافاً وبوادي وسط الفرات.. ما بين بابل ودير الزور، ويؤسفنا أن نتحدث عن ظاهرة العجاج فيها على الرغم من أنها كانت خصبة في الماضي... تكثر فيها النباتات الطبيعية والزراعة.. وتقام فيها المصايف. والمنتجعات للملوك والعامة، في عهد الأمويين وزمن العباسيين، قال الوليد بن يزيد:

يا أهل بابل ما نفست عليكم
من عيشكم إلا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ليل بارد
وسماع منشدتين لابن هلال

لكن سبحان مغير الأحوال فالفرات في طريقه للجفاف والبوادي المشجرة تحولت إلى صحاري، وأصبحت المنطقة تهب عليها عواصف ترابية مدمرة أو ما يعرف بالعجاج.

ومصطلح العجاج لغة من عج أو عجج وهو رفع الصوت ويأتي بمعان أخرى كما يأتي بمعنى الريح العاتية التي تثور وتحمل معها الغبار الذي يهب من الصحاري البعيدة، قال الشاعر القاضي عبد الرحمن البستاني في ديوانه:

ويطلع في سحب العجاج كواكباً
لها الفعل لا للثاقبات الطوالع
فكان من أصل وفرع تجمعت
هي القضب لا ما يدّعى للقوارع

وهناك من يعجبه عجاج الدير، (من مدن الفرات) من باب الحنين إلى الوطن بل من باب ما يقصده الثعالبي في باب تحسين القبيح وتقبيح الحسن فمن هؤلاء الشاعر مصطفى غدير قال:

أحب عجاج الدير خضب مفرقي
وكحل أجفاني وندى فؤاديا
وأعشق ليل الدير إن نجومه
لتخفق في قلبي فيرتاح ما بيا
وأشرب ماء الدير كدراً وصافياً
يا طيب ما ألقاه كدراً وصافياً
وألثم حبات الرمال كعاشق
يطوف في ربع الحبيبة حانيا

غير أن ماجد الراوي يستغرب أن يمتدح العجاج من شاعر، غير أنه لا يحمد على مكروه سوى الله حيث قال:

عجباً لمن أهدى العجاج مدائحا
أيمدح حقاً أم يجامل يا ترى؟
يا من رأى جو العجاج يروقه
ويعشق إعصاراً يهب مزمجرا
بدا شكله تحت العجاج كأنه
سما من عصور قبل أن يخلق الورى
ألا عش بجو العاصفات مهناً
ودع لي ليلاً زاهر الوجه مقمرا

والعجاج لا يهب على المنطقة إلا في غضون أيام أو سنوات محددة فعام 1932 يدعى محلياً بعام العجاج... وما أكثر العجاج المدمر الذي كان ولا يزال يهب على المنطقة، وذلك هي الرياح التي تدعى النكباء.. التي تتنكب طريقها المعتاد وتحيد عنه فتمرّ بمناطق غبار الصحاري تحمله معها إلى مناطق بعيدة مقبلة به كالجبال من شمال أفريقيا ومن صحراء النفوذ شمال الجزيرة العربية. تحمله باتجاه الشمال... حتى إذا ما وصلت به وسط بادية الشام... تهب عليه الرياح الغربية...فتدفعه نحو الفرات الأوسط... والرياح المتنكبة لطريقها أربعة حالات منها: رياح الصبا (جهة شروق الشمس) والجنوب وهذه مجففة للزرع والبقل مؤذية بالإضافة لحملها للعجاج... الذي قد تصل به شرقاً حتى تصل به الصين والباكستان، كل ذلك كان بسبب الجفاف وانتشار التصحر بسبب القحط والتلوث... يضاف لها ما تفعله عن عمد دول الجوار من إقامة السدود، وحجب المياه عن الملايين من بني البشر، ظهر الفساد في البر والبحر فعلاً بما كسبت أيدي الناس...

فنّ التجاهل

كتبت: اليمامة كوسى

يقول جبران خليل جبران: إن تعلّمت كيف تتجاهل فقد اجتزت نصف مشكلات الحياة؟

إلى أي مدى هذه المقولة صحيحة؟ وما هذه الطريقة السحرية التي تجعلنا نضع نصف مشكلات حياتنا على رف مغبرّ ونمنعها من التأثير فينا؟

التجاهل المتعمد أو التجاهل الذكي هو أحد الإستراتيجيات البسيطة والفعالة في علم النفس بهدف تخفيف أغلب السلوكيات السلبية التي يتعرض لها الإنسان..

التجاهل يعيد كل شيء إلى حجمه الحقيقي، فنحن البشر على الأغلب تجعلنا ردود أفعالنا ومكنوناتنا النفسية نتأثر بشدة بالكثير من الأمور بناء على وقعها الآني بينما لو خرجنا من هذه الدائرة ونظرنا إلى أنفسنا من بعيد فستتغير زاوية رؤيتنا للأمور ومن ثمّ سنفهم أبعاد وأحجام ما نتعرض له بشكل أفضل وأصحّ.. وهذا تماماً ما يؤمّنه لنا التجاهل.. فهو يعطينا وقتاً كافياً لنعي ما حولنا من منظورنا نحن بعيداً عن كل الآراء غير المناسبة والمؤثرات الخارجية التي تعترضنا..

ولا يقتصر الأمر على تجاهل الانتقادات السلبية التي تطولنا كما يوحي الأمر، بل هناك أنواع مختلفة لفن التجاهل نحن في أشد الحاجة لمعرفتها وتطبيقها..

على رأسها تجاهل مخاوفنا، إذ علينا أن نتجاهل ذلك الصوت القابع في رؤوسنا الذي يخبرنا باستمرار بأن نستسلم..

كما هناك نوع آخر يسمى تجاهل الكراهية إذ علينا أن نتوقف عند منح بعض الناس فرصة الدخول إلى رؤوسنا وبثّ سمومهم، وإذا سنحت لنا الفرصة لإظهار اللطف معهم فلا مانع من ذلك أبداً..

وأما عن النوع الآخر المهمّ الذي سنتحدث عنه فهو تجاهل مسببات عدم راحة البال بكل أشكالها سواء أكانت أشخاصاً أم أنشطة معينة يمكن أن تتسبب لنا بأدنى قدر من الألم وانعدام الراحة، فذلك لا يستحق مهما كان كبيراً..

أخيراً، ضعوا أنفسكم في المرتبة الأولى حين يتعلق الأمر بإطلاق الأحكام الخاصة بحياتكم.. وأعطوا أنفسكم أولوية أكبر من أي شخص آخر في تحديد حجم الأحداث التي تحدث معكم.. واعلموا جيّداً بأن مزاجكم وسعادتكم أغلى ما تملكون فلا تدعوا أي شيء في هذا العالم يؤثر سلباً فيها..

الليبرالية والأوديسة السورية

كتب: حسن إبراهيم أحمد

يتشوه مفهوم الليبرالية حين ينسب لها من يعمل أو يرضى أن يكون هو أو بلاده وشعبه، أو أي شعب وبلاد أخرى في حالة فقدان الحرية، لأن الليبرالية تعني الحرية، والليبرالي هو الحر وداعم الحرية، وهذا المفهوم معزز بالرأي الديني: «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»، وليس أبلغ من ذلك، مع أهمية أن يفهم الإنسان أن عليه تحمل مسؤولية موقفه، وقد جاء عن قطبين صحابيين، ما يعزز أهمية الحرية، كقول عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» في موقف المستنكر، وقول علي بن أبي طالب: «لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حراً» في موقف الناهي المحرض.

ظهرت الليبرالية في الغرب عبر مخاضات انخرطت بها مجتمعات أوروبا منذ بداية عصر النهضة هناك، مروراً بحركة التنوير اللاحقة، في الوقت الذي ظهر تعثر النهضة العربية التي بدأت بعد قرون، كما استعصى التنوير العربي، ما بدا عائقاً أمام ظهور ليبرالية في مستوى تلك الغربية التي انعكس ظهورها على مجتمعات أوروبا.

في بلادنا العربية، وجدنا أن تقدمنا يأتي عن طريق تقليد الغرب فيما فُعِلَ ويُفْعَل، وليس كل هذا خطأ لو كان تقليداً فاعلاً ودقيقاً، بل لقد توقف عند بعض المظاهر، ولدى شخصيات نسبت نفسها إلى الليبرالية دون أن تكون ليبرالية حقاً، فالليبرالية الغربية حررت شعوبها من الارتهان للتخلف، وهي مع ذلك نهبت ثروات الشعوب الأخرى واستعبدتها، أما العربية فقد كان همها نهب شعوبها واستعبادها والإبقاء على فقرها وتخلفها، دون تمكين رسالتها في الحرية.

كثير من هذه الأفكار تناولته عبر كتب تناولت مساءلة النهضة العربية عن النهوض، والمرأة في دوائر العنف، واستعصاءات التنوير العربي وأخيراً «لا تحسنوا الظن بالغرب» وكثيراً غيرها، لكن فعل الليبرالية الأكثر فظاعة وارتكاباً، حلّلته في كتاب، وقد ذكرني به كتاب أحمد جرادات أوديسة السورية «الذي يحلل فيه مؤلفه آراء كوكبة من الزملاء والأدباء السوريين وكيفية تناولهم لما حلّ ببلادنا سورية في محنتها التي دامت عشر سنوات، ولا تزال البلاد غير قادرة على الخروج من آثار هذه المحنة على الشعب والبلاد، وهو عالم يشهده تاريخ أية بلاد في العالم، على أية أسس، وبأية معايير، يصنّف من أطلقوا على أنفسهم وصف ليبراليين، وهم في الواقع على علاقات تبعية بالليبرالية الغربية، والتبعية ناقضة للحرية؟ والليبرالي لا يكون إلا حراً، أي لا يكون تابعاً ولا يرضى التبعية.

الليبراليون حقيقة يفترض أن يؤمنوا بحق غيرهم في الحرية واتخاذ المواقف، لكن لا يحق لهم الانقلاب على الوطن والوطنية، كما لا يحق لغيرهم في حال لم تنجح مطالبهم.

نقل أحمد جرادات وصف «الليبراليون الجدد» مما كتبته ناديا خوست، في كتابه «الأوديسة السورية» واستخدمتُ تعبير «الليبراليون العرب» في كتابي «الليبراليون العرب واستحقاق الحرية» الصادر عام 2011 وكانوا أدوات لا وطنية، فأكثر نشاطاتهم التي كان من المفترض أن تخدم أوطانهم كانت وبكل أسف – عن قصد أو غير قصد- فعل تآمر على بلدانهم وأذية، كما كانت استعداء للخارج عليها وعلى أنظمتها السياسية، ونعود للتذكير أن عدم الرضى ببعض سياسات الحكام في أي بلد مما يدفع للمعارضة، لا يصح أن يكون حقاً للمعارض أن يستعدي القوى الأجنبية لتغيّر له حكام بلده.

أشباه هؤلاء الليبراليين هم من قاموا بالفعل المشابه ضد بلدهم، سورية، وكذلك في ليبيا وغيرهما، وبذلوا المستطاع لإنفاذ إرادة القوى العدوانية الخارجية، ما أحدث أفدح الأضرار من قتل وتدمير، لقد كان المؤتمرون بأمر الخارج يبذلون طاقاتهم بشهادة الإعلام العالمي لتدمير ما يستطيعون تدميره وحجتهم إنقاذ البلاد، فهل ينقذ بلاده من يدمرها؟

مفردات هذا النشاط العدواني الليبرالي الذي وظف ضعفاء النفوس والفقراء، أو من تضرروا من أمور كتجارة العقارات في غوطة دمشق، التي تذكرها ناديا خوست كسبب من أسباب الغضب وشيطنة البلاد ومن فيها، أو من استجلبوا من الخارج بالإغراءات المالية أو باسم العقيدة التي حاول آخرون إقناعهم بانتهاكاتها وضرورة إنقاذها والانتصار لها، ولست أدري كيف ينتصر منتصر لعقيدته بقتل أهله وتدمير وطنه؟ وهنا نسجل حقنا في إبراز الأخطاء والأخطار والأفعال التي دمرت وتدمر أوطاننا، بعقلانية وصلابة، فالبلاد بلادنا والأهل أهلنا، ولا عذر لمتآمر أو ساكت أو منخرط في الإرهاب ضدها.

نعوم تشومسكي ليس مواطناً عربياً، وهو من هو في عالم الفكر والثقافة، كتب كتاباً تحت عنوان «الربح على حساب الشعوب – الليبرالية الجديدة والنظام الكوكبي» وفي هذا الكتاب ما يؤيد ويحلل مواقف وآراء الذين تصدوا للحديث عن فظائع الليبراليين جديدهم وقديمهم، التي يجب فضحها لمن لم يدر حقيقتها، وحين تتمسك الشعوب بحقها في التغيير بأوطانها فلذلك طرقه وأساليبه، وهي من دون شك بعيدة عن الذي حصل ويحصل.

لعل الدعوة لاستخدام العنف من أجل حسم الصراع الداخلي بين قوى المجتمع في كل بلد عربي، هو القاسم المشترك المخصوص بالنقد بين منتقدي تيار الليبرالية الجديد، مع أن النظرة السلبية لليبرالية لم تكن في خلفية الكثير من المنتقدين لهذا النمط الجديد من الليبرالية.

وفي مواجهة كل ذلك نردد مع مظفر النواب، بالمحكية مخاطباً وطنه: «عذّبني ما عذّبكْ- واقتلني ما أقتلكْ- أصل اليحبْ ينقتلْ- مش ياليحبْ يقتلْ.. بسْ اضحكلنا يا وطن- تفديكْ بإيدْ- وبيدْ نضغطلك على الرشاش»، فالوطنية هي المنهج الذي لا مناص من تمكينه واتباعه، ونحن نرى أن الأسس والمناهج من إسلامية وعلمانية وليبرالية لم توصلنا إلى ما نصبوا إليه، فنحن في هذا من فشل إلى فشل..

حب ولكن

قصة: أمل سلمان

استيقظت بتول بنشاط غير معتاد، الجو ربيعي، والشمس مشرقة، ورائحة الحبق تنعش أنفاسها المضطربة، استيقظت لتعيش يوماً من اختيارها هي، ولا يفرضه عليها أحد، مضى عام كامل على طلاقها من سومر، زواجها الذي امتد تسع سنوات انتهى بلحظة في المحكمة، وبقبول من الطرفين بعد أن أصبحت الحياة الزوجية بينهما سجناً كئيباً وحياة خانقة، ورغم وجود طفل بينهما، إلا أن الهوّة اتسعت والخلافات ازدادت.

حاولت كثيراً التقرب من زوجها، وتحمل طبعه القاسي، لكن كل محاولاتها ذهبت هباء.

بعد الطلاق، ذهبت منكسرة إلى أهلها الذين شجّعوها على العمل بشهادتها التي تحملها - إجازة في الأدب الفرنسي- حيث عملت بإحدى الشركات الخاصة بالمدينة، زوجها سومر احتفظ بطفلهما أمجد الذي يبلغ الخامسة من العمر، وعادت هي إلى بيت أهلها مع التزام بتنفيذ جميع قواعد المجتمع الصارمة، فهي من البيت إلى العمل تحت رقابة مشدّدة من أهلها.

أحست بالفقد العاطفي، وبفراغ هائل في نفسها من ألم الوحشة، والوحدة وافتقاد ابنها الوحيد،

أمضت وقت فراغها باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وسمّت صفحتها باسم مريم مع الاحتفاظ بكنيتها مروان....ومنذ أربعة أشهر تعرفت على "شريف" أحد أصدقائها في (الفيس بوك) شريف شاعر مرهف، لا يضع صوراً شخصية، ولا أي دليل عن عمره، أو مكان إقامته؛ لكن ينشر شعراً مرهفاً بعاطفة مملوء بالشغف، ودخوله إلى الخاص على صفحتها، كان خجولاً، تحية في الصباح أو في المساء، ثم أخذا يتراسلان، وتطورت العلاقة بينهما شيئاً فشيئاً، أخبرها أنه مهندس مدني، ويقيم في إحدى القرى القريبة من مدينتها، ولم يطلب منها صورة لها إلا مرّة واحدة، فأرسلت له صورة من غير وجه، لأنها أرادت أن يُحبَّ روحها قبل شكلها، وألا يعرف شكلها الحقيقي، إلا في اللقاء وجهاً لوجه، أما هو أرسل لها صورته، وهو شاب أشقر الشعر بعينين زرقاوين، وقامة طويلة يبدو في الثلاثين من العمر مثلها.

عندما أرسل لها صورته، أخذت تقارنها بصورة طليقها "سومر" أسمر الوجه، ومربوع القامة وعينيه العسليتين، وجبينه الواسع، لاشك أن "سومر" أكثر جمالاً، وأشد رجولة؛ لكن لم يفهمها يوماً رغم سعادة سنوات زواجهما الأولى معاً، إلا أنه تغيّر مع الوقت، وأخذ يتصرّف مثل رجل آلي، كل شيء عنده بساعته، الطعام والشراب والنوم، يعاتبها على كل تصرف عفوي، ويلومها على أي تقصير... لم ينتبه يوماً لعطرها الذي تنثره عندما تشتاق إليه، ولم يهتم بفساتين نومها الملونة الجذّابة، كان يقول لها بكل بساطة، مضى زمن الولدنة يا بتول نامي نامي، أنا متعب اليوم.....يتركها وحدها تتقلب في العتمة، ولم يفهم بأن وقتها لم تكن تريد إلا لمسة حانية، وابتسامة جميلة، وكلمة طيبة تغنيها عن يومها المتعب، وحياتها الشّاقة في البيت، وهي تراعي شؤون والدته، وتطيعها في كل ما تطلب بعد عجزهما عن امتلاك بيت مستقل لهما، ويوماً بعد يوم تراكمت خلافاتهما الصغيرة التي أدت إلى الطلاق، وها هي تتعرف على "شريف" العطوف الحنون المستمع لها، المعجب بأفكارها رغم أنها لم تسمع صوته، ولم يسمع صوتها، كان تراسلهما عبر الشات فقط، واتفقا على اللقاء اليوم صباحاً.

وكم تحمست "بتول" لهذا اللقاء، وكأنها مراهقة صغيرة في أول موعد غرامي لها، يملؤه حماس يشوبه الانفعال، ويتخلله القلق من أن ينفّر منها "شريف" بعد أن يراها وجهاً لوجه.. بقيت "بتول" تحاور نفسها أمام المرآة طوال فترة استعدادها للقاء، فتحت الخزانة تأملت أثوابها المعلقة منذ شهور وحيدة، لم تلتف لها أو ترتديها بسبب الظروف التي مرّت بها، وعادات المجتمع الخانقة التي تحجز الأنثى في قمقم، وتعيب عليها أن تقوم بأتفه الأشياء، وخصوصاً إن كانت مطلقة.

ارتدت ثوبها الأصفر الذي يصل للركبة، وهو بنصف كم، وعلى خصره حزام أسود، وضعت زينتها بتمهل وإتقان، ارتدت حذاءها الأسود عالي الكعب... ووضعت عطر الياسمين.

اتجهت إلى مكان اللقاء لمقهى في أطراف المدينة على شاطئ البحر اسمه (شراع المحبة).

نظرت إلى اسم المقهى، وأسرّت في نفسها هل ستبحر سفينة حبها الآن؟ هل ستجد رجلاً يفهمها كأنثى، ويحبها كإنسان؟ كم هو مرٌّ ذلك الزّواج عندما يتحول لقيد.. وهل تتحول العشرة بين الزوجين إلى عبودية؟ كم هو مرٌّ زواج تموت فيه المشاعر، وتتحول في فضاء وحدته إلى سجين وسجان؟ ابتلعتنا موجة الأيام ليصل طفل أنجبناه إلى بر الأمان.

نعم تمردتُ لأنني أريد أن أحيا كأنثى، وقبل هذا وذاك أن أكون إنساناً.

تجولت "بتول" في المقهى، وجلست قرب شرفة مفتوحة على البحر، وكانت تستمتع بصوت فيروز في أغنيتها "شايف البحر شو كبير، كُبر البحر بحبك".... تأخر "شريف" عن الموعد رغم أنهما تبادلا رسائل نصية على أن يلتقيا هنا، وليتعرفا على بعضهما البعض جيداً، أخبرته أنها سترتدي فستاناً أصفر، وأخبرها أنه سيرتدي بدلة رسمية زرقاء وقميصاً أبيض.

الوقت يمضي، وقلبها يخفق بشدة، سقطت حقيبتها النسائية، انحنت على الأرض لتلتقطها وتعيدها مكانها شاهدت قدميه، لقد أتى وتظهر بدلته الزرقاء، رفعت رأسها لتراه، وأي صدمة "شريف" الأشقر هو زوجها سومر !أربعة شهور، ولم تعرف أن هذا الشاعر الأنيق يحمل روح سومر!!

وجه "سومر" بحالة ذهول مطلق "بتول" أنت "بتول يا مريم".. كيف لم أعرفك؟ سقطت طاقة الورد من يده، وغادر المقهى مسرعاً، جلست بتول تتأمل البحر، وتبكي وصوت فيروز يغني يا جبل البعيد خلفك حبايبنا...

اللوحة

قصة: طاهر سعيد عجيب

1

أعلنت مجلة « تشكيلة الغد» الشهرية عن مسابقة لتقديم لوحة فنية بانورامية، من شأنها رسم الملامح المستقبلية للمدينة، المتأرجحة الآن على اهتزازات العواصف التي راحت تضرب بنيتها الداخلية، وتنهك قواها، مما وضعها تحت رحمة عقبات كؤودة.

2

تدافع المتسابقون، يشحذون القرائح، يستنهضون الهمم والغيرة تفعل فعلها في النفوس الحامية، ويتساوى فيها من كان خبيراً، ومن ليس بها بصيراً.

وتتوهج غمار المغامرة في مواقد الرغبة، حتى إذا ما شارفت المدة على الانتهاء.. ازدحمت المدينة بالأعمال المقدمة.. فتجاولوا بها، وتصولوا ثمّ ما لبثوا أن غربلوا بغربال المفاضلة، إلى أن استقر الرأي على إحداها تحت مسمى «طائر الأجنحة الثلاثة» للثلاثي عطر الندى، بارع، بارعة..

لكن كيف توصل الثلاثي إلى إنجاز هذا العمل الرائد؟

في اللقاء الأول نهض عطر الندى.. وهو فنان مسكون بصنعته، عصامي، مجتهد، كدّ وثابر، ولم يقنط ذات يوم.. فصنع نفسه بنفسه، رافضاً التقليد والاقتداء بالغير، مؤثراً أن يكون القدوة.. إلى أن بلغ شأواً عظيماً.. وتتلمذ على يديه الكثير من أبناء مدينته، وكان أجلهم وأفضلهم، بارع وبارعة..

في هذا اللقاء، أبدى وجهة نظره قائلاً:

سيكون للوحة إطار مصنوع من خشب الجوز، الملّون بنقيع من قشر البصل، وثمرة الجوز مع ورق التفاح.. والأرضية من رقع قماشية مصنوعة من خيوط القطن الخامية.. ذات أشكال هندسية، بمساحات متباينة، تبعاً لحجم الشريحة الواحدة في قوام المجموع العام، ثم نرمز بما يشير إليها: كالمحراث بالنسبة للفلاح، والمطرقة إلى العامل، والكتاب بالنسبة للمعلم والتلميذ، والسيف إلى المقاتل..

وتقاطعه بارعة ذات الحس المرهف، وصاحبة الذكرى الطيبة في وجدان صبايا المدينة وشبابها، وقفت تسأل:

ولكن كيف نرمز إلى مجلس المدينة؟

فيعقب بارع صاحب اليد الطولى في ميادين الفن والعمارة، بلهجة حاسمة:

نتجاهل الإشارة إليهم كونهم يعدّون أنفسهم من الجنود المجهولين، الذين نذروا أنفسهم لخدمة المدينة وأهلها، حتى إذا ما حاولنا ذلك لكان أثرهم مجرد نقطة في بحر متلاطم.

صالب عطر الندى يديه، وعبس وجهه وعلّق:

لهجتك ساخرة يا بارع.

وتفك بارعة عقدة لسانها، معلّقة:

لنجعل لوحتنا مفتوحة على الدلالات والقراءات.

استصوب بارع الرأيين، وسأل عن كيفية استعمال الألوان..

مرّة أخرى تتفتق أذهان بارعة على مقترح مستجد وهو: " نضيف إلى خلطة الإطار منقوع ثمرة التوت البريّ "حب الديس" ثم نقوم بعملية التلوين، بالكثافة التي تدل على هذه الشريحة أو تلك.

أثنى عطر الندى على الأفكار المطروحة، ثمَّ أُعْلِنَ عن رفع الجلسة.

3

في الجلسة الثانية، كانت الأفكار قد تخمرت عند بارعة، فقفزت إلى ذهنها فكرة تقول:

دعونا من فكرة تقسيم أرضية اللوحة، ولنبق عليها قطعة واحدة، وهذا ما يدل على وحدة الشعب والأرض..

خيّمت لحظات من الصمت، كانت فيها فطنة عطر الندى، قد لكزت خاصرته بمهاميز الأفكار.. فلمعت على رأي:

لنشغل المساحة بكاملها بعربة جر للبضائع التي تنتجها المدينة، يدفع بها أناس من مختلف شرائح المجتمع، يطاردون بها رزقهم في الجبال والسفوح والوديان..

ويأخذ الرأي بعقل بارع الذي سارع معلقاً:

أحسنت أيها المعلم.. إذ كنا في محاولاتنا الأولى كمن يحاكي حالة إحصائية ساكنة، وهو أسلوب تقليدي عفا عليه الزمن، ونحن هنا نبحث عن نمط جديد في الخلق والإبداع..

وتفك بارعة من تصالب القلم مع فمها، وقد بات وجهها أشد إشراقاً.. وتقول وقد سحرها الرأي:

كأنني الآن أمام لوحة كاملة البنيان، فصيحة اللسان، تسامر المشاهد دونما استئذان، وكأنها فرس تجري رياضاً بعنان..

قهقه بارع، وهو المفتون بهذه الفارسة الجموحة، جموح فرسها وعلّق:

لا تترك من كان بهواك ولهان.

إطراء جميل، أعقبته خاتمة جميلة، جاءت من لدن عطر الندى عندما قال:

لنبق على تلوين الإطار بالخلطة المتفق عليها، ولنؤثر على تقديم الداخل باللونين الأبيض والأسود، وهما أصل الألوان ومشتقاتها..

وعلى هذا النحو قدّمت اللوحة متجاوزة المراحل بانسيابية متدفقة، حتى أن تبوأت الصدارة.

4

وما كادت الفعاليّة أن تبدأ، حتى اقتحم القاعة شابٌّ مستهتر يحمل شيئاً مغلفاً قدّمه إلى الرئيس، والتفت إلى الحضور قائلاً:

إنها لوحتي، جئت بها في آخر لحظة، لجهلي الشروط المعلن عنها من المجلة.

وأخذ له مقعداً بين الصفوف..

اللوحة تقدم شاباً بيده صنارة لصيد السمك، وباليد الأخرى سلّة فيها بعض الديدان، وحاجيات أخرى.. يحاور عجوزاً عائداً ببقرته من الرعي..

تقاطعه بعض الأصوات، مطالبة بأن تأخذ اللوحة مكاناً لها في مواجهة اللوحة الأخرى..

تردد الرئيس وهو يحاور أقرانه بأنظار حائرة.. وترتفع وتيرة المطالبة، فيأخذ بعقل اللجنة، وتصادره.. مما اقتضى دعوة الشاب لاعتلاء المنبر.. وهكذا وجد الجمهور نفسه فجأة أمام لوحتين، لكل واحدة هويتها وحجّتها..

وبشيء من اللامبالاة، وكتحصيل حاصل، وبتحريض من رئيس مجلس المدينة، طُلِبَ إلى الشاب التعليق على اللوحة فامتثل للأمر موضحاً:

الشاب الصياد يسأل العجوز كيف هو الصيد في النهر الآن؟ فيجيب: المياه فيه آخذة بالنضوب، وهي آسنة وملوثة، وسمكه بين نافق ومتهالك..

أثارت الحكاية حفيظة رئيس مجلس المدينة، واقترح قبولها كمنافسة للأولى..

هرج ومرج يسود القاعة، ما لبث أن شقه دخول صبية متجهمة الوجه، تحث الخطا لارتقاء المنصة، فاعتلتها بثبات وخاطبت الجمهور:

أنتم يا سادة تشهدون عرساً أقاموه لكم، من على مذبح الموت – نعم إن والدي- الذي هو رئيس لجنة الإشراف، قد وقع ضحية حادث غادر، افتعله الجناة بسيارة فارهة، مجهولة الهوية، دهسته عن عمد، ونحن بطريقنا إلى هذا الاحتفال العتيد، وهو الآن بين الحياة والموت.

وذهبت تنشج بكاء، وأخلت نفسها من القاعة..

تعالت أصوات الرفض والاستنكار، واجتاحت القاعة غيمة داكنة، فتشلل الجمهور.. وتكوكب.. ما لبث عطر الندى أن أضاء المكان باحتلاله المنصة، مخاطباً الجمهور بصوت ثائر غضوب:

دود الخل منه وفيه، وإن غداً لناظره قريب، ألا فاتعظوا يا أولي الألباب.. إنها مكيدة.. رددوا معي.. لا لسياسة الأمر الواقع، ونعم للحداثة والتطوير.

5

حلّت لجنة الإشراف نفسها، فحاول رئيس مجلس المدينة ضبط الإيقاع، مستعيناً بقوى حفظ الأمن، إلا أن انضمام إدارة المجلة إلى الثلاثي المنتج للوحة، قد فاقم الوضع، وما زاده تعقيداً وفاة رئيس اللجنة – الشهيد كما أطلقوا عليه- وتوجُّه الجمهور لحضور حفل التشييع.. وهناك؛ كانت كريمة الراحل في استقباله، وقد أحبت أن تنقل إليه رسالة والدها، وهو يلفنها إياها على فراش الموت:

أرغب منكم التزام جانب الهدوء والتروي والثبات في وحدة الموقف والمصير، وأنتم تضعون خطوتكم الأولى على درب الألف ميل، ويعود الفضل بذلك إلى الجهة المعلنة والمنتجة في آن، عدوكم واحد في الداخل والخارج على حد سواء.. تقاضوا عند الراعي الأول، ولا شك سيأخذ بيدكم.

وكأن الطبيعة قد تدخّلت في حسم الجدل القائم، عندما أرعدت السماء وغيّمت وهطلت الأمطار غزيرة في غير أوانها، وتغرّق الجمهور، لكن يجمعهم صوت واحد وهو صيحة " الله أكبر.. الله أكبر ".

حمامة واحدة... وثلاث صور

قصة:
د. أحمد زياد محبك

أرجع أنا وزوجتي من سهرة صيفية، أفتح باب غرفتنا، أدخل، أحس هسيس حركة، زوجتي تذعر، تقف، باب الشرفة مفتوح، أدرك على الفور أن كائناً ما قد دخل، حتماً ليس بلصّ، جذبه الضوء الخافت، في ليلة صيفية حارّة، لعلّه فراشة، أو جرادة، أو صرصور له جناحان طار بهما، زوجتي تضيء المصباح، على الفراش حمامة بيضاء، بهدوء أمشي نحوها، أمسك بها، زوجتي تصيح: « لا، لا تلوث يديك»، ثم تهمس: «يا للماكرة، ما وجدت غير الفراش لتهبط عليه، وفي موضع نومك أنت بالضبط، أودّ لو أستطيع قطع عنقها، أو نتف ريشها».

أحمل الحمامة بكلتا يدي، أمسك عنقها الناعم بالسبابة والإبهام، أتأمل جيدها الناعم، ريشات ناعمة في عنقها مفتولة كالعقد، عيناها تتألقان، هي بيضاء كالثلج، أطراف جناحيها مكحولة بسواد رشيق، في طرف ذيلها سواد ناعم، كلحن مختلف في نغم هادئ، تتلفّت يمنة ويسرة مزهوة بجمالها، أنادي الأولاد.

مجد يأخذها بين يديه، يقبل عنقها، يضمّها إلى صدره، أمل تودّ الإمساك بها، ولكنها تكتفي بمسح رأسها بسبابتها، تخاف، تذعر لدى التفاتة رأسها، تخشى منقارها العقيقي، أقول لها: «خذيها بين يديك، لا تخافي، هي لطيفة مثلك»، وتصيح زوجتي: «أرجوك، أطلقها من الشرفة، لا نريدها في البيت»، أمل تعلّق: « لا، لا، لا ترموها من النافذة، أخشى أن تأكلها قطة الجيران، اتركوها عندنا»، مجد يستأذنني: «هل تسمح لي بوضعها في شرفة غرفتي؟»، أقول له: «هي لك، خذها، يا مجد، ولكن لا تنس، ضع لها الماء، وفتات الخبز، ومن الصباح الباكر اشتر لها طعامها الخاص بها، هو ذرة بيضاء».

زوجتي تلحّ علينا، تريد إطلاقها، توصينا بغسل أيدينا بالماء والصابون، مؤكدة ضرورة عدم بقائها في الشقة، حتى ولا في الشرفة، تخشى من الأمراض، تؤكد أن في ريشها أبواغاً تتطاير في الهواء، وتعشش في الصدر.

في الصباح نجتمع إلى مائدة الإفطار، أفتقد مجد، أسأل عنه، أمّه تقول: «هو في غرفته لا يغادرها»، أعلّق: «هذا من حقّه، فهو مشغول بالحمامة لا يريد تركها»، أمل تعلّق: «هو حزين، لا يريد ترك الغرفة، ولا تناول الإفطار»، وأسأل: «ولماذا؟»، أمل تجيب: «طارت الحمامة، استيقظ في الصباح فلم يجدها»، أعلق: «هذا جيد، رجعت إلى صاحبها»، زوجتي تضيف: «تخلّصنا منها، لا بد الآن من غسل الشرفة وتنظيفها بالماء والصابون، لا نريد الأمراض ولا الأوبئة، لا أعرف كيف يربي الناس الحمام والقطط في بيوتهم؟ كيف يعيشون معها؟ أنا لا أريد معي في البيت لا قطّة ولا حمامة، حتى ولا فراشة».

في المساء أرجع إلى البيت فأجد في غرفة الجلوس ثلاث لوحات على الجدار للحمامة نفسها، صورة من أمام، صدرها شامخ، منقارها كالعقيق، رأسها دقيق لطيف، صورة من جانب، جيدها أتلع، عينها تتألّق، منقارها لطيف، صورة كلية تقف بكامل حضورها، كأنّها عروس في ليل زفافها، أسأل: «من التقط هذه الصور؟»، يدخل مجد ليهتف: «أنا التقطت صور الحمامة ليلة أمس»، أسأله: «وهل استأذنت أمك؟»

رُب صدفة..

قصة: هيام جابر عبدو

قراراً وجاهياً غير قابل للطعن بطريقة النقض (صدر ولن يعلن).

بعد تخبط أفكاره، وضع همام الشاب الوسيم نقطة على السطر، مزمعاً عدم العودة لقطعته العسكرية التي يخدم مجنداً بها.

كان قد سمع والده القاضي يقول هذه العبارة كثيراً، عندما يصدر حكماً نهائياً على أحد المتهمين، إلا أنه حرّف العبارة الأخيرة.. لظنّه أنه يمكن أن يُخفي ما قرره، ليتمادى بتمرده ومشاكسته، التي ميزته في عائلته، مقارنته بأخيه الأصغر عزام المطيع، كانت تزيده نفوراً وغضباً وتمادياً.

أما والده الذي لا يخفى عنه استهتار ابنه، فسرعان ما علم، وبنفاد صبر بذل ما بوسعه لثنيه عن مغامرة خطرة، ليس ملماً بكل أبعادها، لكن ذهبت كلّها أدراج الرياح.

آخر محاولة هرع على إثرها همام إلى صورة أخيه عزام التي تزين صدر البيت، منذ ثلاث سنوات، خلعها بعصبية، ووضعها بوجه أبيه، الذي طالما لامَ نفسه على منحه الدلال الكثير حتى أفسده.

قال مرتجفاً:

هل تريد أن ألحق به؟

هل ترسلني للموت؟

بصوت خفيض وحزن دفين أجابه والده:

لكل ميتة سبب، والأعمار مقسومة ومكتوبة.

أما الشهداء فهم أحياء عند ربهم.. لا يموتون.

خرج همام مهزوزاً، غاضباً من البيت.

حينها قرر القاضي المشهود له بحسن سيرته ترك ابنه وشأنه عسى الحياة تلقنه ما لم يستطعه هو.

الأب الذي فجع باستشهاد عزام يتذكر الرجل الذي كان وكثيراً ما نسي أنه أمام ابنه.. لقد شعر دائماً بصداقته.

بكى بمرارة فراقه يوم وصول جثمانه ملفوفاً بعلم بلاده... انحنى مقبلاً حذاءه المحترق.. ووجهه الأبيض الجميل احتقن لكأن نيراناً تضطرم به.. وحين حاول النهوض غاب الأخضر من عينيه ليصبح غباشاً أسود.. ولتخر القامة الشامخة فاقدة الوعي.. رغم كل الجَلَد الذي عهد به.

"ليتك يا همام تسد الفراغ الذي تركه."

همام الذي خرج لا يلوي على شيء.. الكل يعرف وجهته..

يسرح بعيداً حيث الغابة المحيطة بالقرية من الجهة الجنوبية، يمضي ساعات طوال مع شلة من أصحابه.. يلهون ويتسامرون حتى ساعات متأخرة من الليل.

كانت ليلة ليلاء ظلامها له أنياب لم يستطع ضوء القمر سترها حين تناهى لمسمعه ذات ضياع.. أصوات غريبة ومريبة من كل جهات القرية.

دب به رعب لم يشعره سابقاً... خاصة عندما سمع استغاثات أطفال ونساء ورجال..

ثم رأى أشباحاً، لم يتبيّنها في الظلام إلا حين وصل لاهثاً قرب بيتهم.

لم يسأل كثيراً ماذا جرى.

كل المؤشرات دلّت أن الإرهابيين المتحصنين في خرائب متناثرة بالقرب، نفذوا تهديدهم، ويحاولون تجاوز حدود القرية والدخول إليها لتدمير كل شيء يدل على الحياة.

أخذ بندقية، وانضم لصفوف رجال القرية الذين هبّوا للدفاع عن أنفسهم.

معركة حامية الوطيس، ردت شرذمة الإرهاب مندحرة على أعقابها في غضون ساعات.

همام الذي تتبعهم بعيداً بقلب أسد.. لم يعد يدري أين وصل، وفي أي جهة أصبح!

عندما صمت صوت الرصاص... أدرك أن المعركة انتهت.

حاول العودة، اتجه صوب نور خافت تحمله رياح نشطة، فلا خيار أمامه إلا الذهاب حيث مصدره وإلا فستأكله الوحوش في هذه البرية وهذه الحروش..

عندما وصل مبتغاه أدرك حجم الخطر الذي وقع به.. حيث خرج إليه رجل بلحية طويلة.. وزي غريب ولهجة مختلفة.

حوار مقتضب دار بينهما...

سأله الرجل:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

أجابه همام..

راع..

تأخر بي وقت الرجوع وضللت الطريق.

قال الغريب:

ادخل ريثما يستيقظ خليفة المسلمين ليبتّ بأمرك.. دافعاً إياه بوحشية.

المكان اتضح بعدُ أنه زريبة سابقة، هناك رأى أربعة أشخاص محتجزين، أنبأه مظهرهم.. رغم العتمة عن تعذيب وحشي طالهم.

صوت إغلاق الباب الصدئ بعد دخول همام أجفلهم وفي الوقت نفسه سمع همهمات بينهم، فهم أن قلوبهم تترقب هذا الباب.

قال أحدهم:

- لم يغلق الباب كالعادة بالسلاسل

قال آخر:

- سمعت طقطقة خفيفة.

قال ثالث:

- أغلب الظن ربطه بسيخ رفيع.

الصوت الرابع لم يسمعه همام...الذي قبع مترقباً لكل ما يصدر عنهم بقلب واجف.

أدرك أنهم يخططون للفرار.

عندها تشجع وعادت إليه أنفاسه المتقطعة تهيأ لمساعدتهم، بإرادة لا تلين خرّ لهم المستحيل.. وراحوا يعدون هواءً جديداً يلفح أنفاسهم العطشى للحرية.

وكأنما كان بينهم اتفاق غير مقصود ألا يبتعدوا عن بعضهم أثناء الفرار ليستمدوا القوة بوجودهم معاً.

ركضوا كثيراً تحت جنح الظلام ووابل من الرصاص وراءهم.

أخيراً صفق لهم زرع سنابله ملأى، قصدوه، وارتموا سريعاً بين أحضانه متقطعي الأنفاس.

وما أن سلم الليل رأيته للنهار، وأعلنت أول زقزقة طير أنه وقت انبعاث النور.. نهضوا يبحثون عن وجهة آمنة.

على مرمى أنظارهم وهم يبتعدون عن الزرع، ارتفع جبل شاهق، وأغلب الظن أنّ العلم المرفرف أعلاه، علم الوطن، الذي دفع الكثيرون دمهم من أجل أن يبقى خفافاً.

قصدوه والأمل يكبر في نفوسهم كلما اقتربوا، فكل شيء يشير إلى أنهم بوجهتهم الصحيحة.

لم ينته الخطر بعد سيكون هناك حراس وسوف يقومون بواجبهم عندما يرون خمسة غرباء قادمين في هذا الفجر!

بسفح الجبل رأوا معدات حربية، تنتصب على أهبة الاستعداد لأي هجوم معاد.

راح صوت أجش ينادي بأعلى صوته:

أصدقاء..

نحن أصدقاء

جنود.. هربنا من الأسر..

النجددددددة.

النجددددة!!؟

ردد همام متلعثماً... متفحصاً وجه المتكلم ذي اللحية الطويلة المتسخة والزي العسكري، الذي مزقته ثلاثة سنوات أسر، والذي لم ينتبه في زريبة يغلفها الظلام.

قبل إعطائهم شارة الأمان ليصعدوا الجبل..

اقترب مذهولاً من ملامح يراها وهماً بصورة معلقة على جدران بيتهم.. وبين ملامح يراها واقعاً هنا.

ما إن أصبح بمواجهة أخيه... جحظت عينا عزام قائلاً:

هماااا...

وقبل أن يكمل ارتمى بين أحضان همام مغشياً عليه.

طيف ابتسامة

قصة: إلياس غصن

لم يكن هناك أحد.. يعزف الصدى معزوفته الأخيرة، والمكان يضجّ بصخب الصمت.

وصل متأخراً، مرتدياً عباءة الندم السوداء، تلفّت كثيراً، تصاعدت أنفاسه بعنف شديد، عيناه الزرقاوان تتخابط أمواجها، حتى كادتا أن تخرجا من حجرتيهما، أخذ شهيقاً حبس به هواء المحيط ثم صرخ صوتاً خرج من حبال قلبه الباكي، لتمتصه حجارة البيت اليتيمة، ترنّح يميناً ويساراً فاقداً جميع قوى الحياة، بدا كجثة هامدة اتكأت على ظلها واقفة، لا شيء بعد الآن لتخسره انهارت جبال باطنه، وكل جزء من جسده يصعب عليه أداء عمله، جثا على ركبتيه منحنياً، ثم طأطأ رأسه وأسنده عند حذاء أمه، كواكب المجرات تضرب بعضها بعضاً داخل جمجمته العتمة ليطفئ شمساً بدموعه، هذه الذكرى جعلته يتوقّف عن السير فجأة، شعر بصداع عنيد تشبث بهذا الرأس، تمايل قليلاً وكأن هناك نوعاً من اختلال التوازن، أمسك مسرعاً بقبضة الباب الحديدي واتكأ عليه، لم يعد قادراً على تحمّل هذا السيناريو مرة أخرى، لكن الرأس لا يرحم أحداً بضغط الذكريات، حاول الخروج من الثقب الأسود الذي ابتلعه لمدة، رصّ على رأسه بقوة، نظر حوله فعاين الضباب الذي هيمن على المكان، كالضباب حين كان يعبئ الغرفة التي هو فيها مع رفاقه السُكارى، حيث يرتمون هنا وهناك، يقهقهون بصوت عال دون سبب، يتشاركون كؤوس الكحول، وروائح الأشياء التي يتعاطونها تُثمل الجو تماماً، هذا الجو الذي استطاع أن يُغري «مازن» حين كان في السنة الثانية من الهندسة، ليُنهي حلمه مع رماد السجائر، اعتاد مع رفاقه هذه الأجواء الروتينية، ففي مثل هذا اليوم، وفي ليلة خريفية كان المكان يضجّ بأصواتهم، ومشاعرهم العشوائية تسيطر على أثير غرفتهم، رنّ هاتف «مازن» مرات متكررة وعنيدة إلا أنه لم يُعرها أدنى اهتمام، كانوا في كل مرة يستمتعون بالأغنية الواردة من المكالمة، حتى ملَّ صديقه من صوت الرنين، سحب الهاتف عن الطاولة وأجاب، ردّ بانفعال: مازن والدتك ماتت، لقد ماتت، صمت الجميع إلا هو، علا صوته، قهقهة بشكل مبالغ فيه فتغير لون وجهه، صمت فجأة، أطفأ سيجارته بقبضة يده دون أن يشعر بحرارة الاحتراق، انتعل حذاءه، ورحل بصدمة، يفكر بأمه التي كانت تعاني المرض، ففي كل لقاء ترمي نظرتها إليه وتبدي له عدم رضاها عمّا يفعل، ليدرك أنه السبب، ضرب رأسه بالباب عندما تذكر هذه اللحظة التي كان بها خارج نطاق البشر! تابع سيره، وآهات الماضي تُجر وراءه، وصل القبر، جسّ ترابه الرطب، أسند رأسه إلى رخامه، وتمتم: أمي لقد تخرجت في الجامعة، قال هذا بصوت مرتجف، نظر إلى السماء، رأى وحيَ ابتسامة حياة من امرأة لعلّها كانت وستبقى تحبّه.

عامٌ جديد وشجن قديم

شعر: ماجدة أبو شاهين

أمسكْ يدي يا صاحبي، أمسكْ يدي
وكبيرهمْ متشبّثٌ بحبائلي
وَرِثوا التَّبايُنَ خِلْقَةً وخَليقَةً

أنا راحلٌ عنهمْ، وأنتَ المُبتدي
متكلّسَ الأحلامِ، ضحْلَ المورِدِ
من عهدِ آدمَ، كالأصابعِ في اليدِ

ها أنتَ ترفلُ كالرَّبيعِ تزورُهمْ
متغضّنَ الوجدانِ، إنْ قبضَ الرَّجا
كلٌّ يؤلّهُ نفسَهُ فتقودُهُ

وتصُرُّ أسرارَ الغريبِ بمِزْوَدِ
كالماءِ من بينِ الأصابعِ يغتدي
وتعاقُبُ القمرينِ سرُّ تجَدُّدي

وتمدُّ رأسَكَ ضاحكاً متبرّكاً
وغنيُّهم زرعَ الدَّراهمَ كالصُّوى،
قد شيّبَ الغَوْدينِ منّي أنْ أرى

وتسيرُ مغمورَ القوائمِ في الغدِ
لو سارَ معصوبَ الجوارحِ يهتدي
فعلَ البَريَّةِ في حدائقِ مَقصَدي

انظرْ، أضاءَ لحُسنِ وجهِكَ ليلُهمْ
ويعُبُّ من ضَرْعِ السَّعادةِ، آمناً
قلعوا شجيراتِ الرَّويَّةِ والرؤى

وأشاحَ عن أَفنٍ بوجهٍ أرْبَدِ
إن رَفَّ جَفنٌ للسَّحابةِ يحصُدِ
ورَمَوا بأسْفاري بلَيلٍ أجْرِدِ

المسْ يدي الوسْنى، تناولْ شُعلتي
وفقيرهمْ متعثّرٌ بظلالِه
لم يدركوا أنّي هُلامٌ ساكنٌ

واركضْ بمضمارِ الزَّمانِ السَّرمدي
متزنّرٌ بالهَمِّ، غيرَ مزوَّدِ
أرياشَ موجتِهمْ وجمرَ المَوْقِدِ

إنّي تعبتُ من المسيرِ وهدَّني
إنْ شَدَّ سهماً في المنامِ لظَبيةٍ
وأوحّدُ الأيامَ، جوهرُ ذاتِها

همسُ الورى: تَبّاً لذاكَ الأنكَدِ
نفَرَتْ، وإمّا للسَّحالي يصْطَدِ
ويصوغُني الإنسانُ غيرَ مقيَّدِ

كم ساءَني أن ينتشي بجنازتي
وبخيلهمْ مُتَخَنْدِقٌ في حرصِه
إن جدَّ كنتُ السَّيفَ أورى زندَهُ

من هلَّلوا أملاً لساعةِ مولدي!
إن يطلبِ العُصفورُ زاداً يجْحَدِ
أو يلبَسِ اليأسَ انتظاراً أنْفَدِ

وَجْهانِ نحنُ لفكرةِ الزمنِ الّتي
ضحكتْ له الدنيا فقطّبَ للورى
إنّ التفاضلَ في عبيرِ نفوسِهم

تنثالُ كالتُّرْبِ المُفايلِ باليدِ
ويلوكُ حَلْواها بثغرٍ أدْرَدِ
سحرٌ يؤثّثُ للبقاءِ الأرغدِ

عجبي لأبناءِ الحياةِ، فَتيُّهم
وكريمُهمْ يَردُ النَّدى مُتهلِّلاً
ما لي وللأعيادِ يُطلقها الفتى

ينضو وريقاتِ الخيالِ ويرتدي!
ورْدَ المعالي من شُجاعٍ أصْيدِ
سربَ ابتهالاتٍ وليس بمخلَدِ

مُتهالكاً في الشهدِ يمضي، تائهاً
نَجْداً، متى خسَفَ الزمانُ بصاحبٍ
هل كنتُ إلا اللحنَ يلثمُ قلبَهُ

قَفْراً من العِرفانِ، رَثَّ المحْتِدِ
لو كان مقصوصَ الجوانحِ يرفِدِ
ويشيعُ موسيقا الحياةِ بمعبدِ؟

أثبتُّ حـبَّكَ يا كلَّ المُنى شَغَفا

شعر: هناء خالد الشاوي

القصيدة الفائزة بمسابقة وجيه البارودي

أثبتُّ حُبَّكَ يا كلَّ المُنى شَغَفا
وعن خواطره قلبي سواكَ نَفَى
ذاك الحبيبُ فلا كيفٌ يُحدِّدُه
ولا شبيهٌ ولا وصفٌ به وُصِفَا
أوقفتُ روحي وجسمي عند حضرته
وصار كُلّي عن الأغيارِ مُنصرِفا
لمّا تَجلّتْ لعينِ القلبِ صورتُه
النبضُ زاحمَها كي يُحرزَ الشرَفَا
كلُّ الحصونِ التي شيّدتُها زمناً
أمامَه سُحقتْ كالطورِ حين عَفا
لمّا لمحتُ دجًى من نوره طرفا
دُكَّ الفؤادُ ومنّي العزمُ قد خُطفا
وذقتُ طعمَ الهوى، يا حلوَ مَطعَمه!
من ذاقَ طعمَ الهوى أسرارَه عرفا!
قد عرّفتْه شؤونُ الوجْد جوهرَه
فراحَ مُنتشياً منه ومُغترِفا
عن الورى لوعتي ما زلتُ أكتُمُها
حتى حكتْ مُقلتي الأشواقَ والأسَفا
بعد استتاري ببُرْدِ الصبْرِ مُدَّرعاً
اسّاقطتْ بُرَدي، والسرُّ قد كُشِفا
وقد علمتُ بأنّي بعد جفوته
لا شكَّ في سَقَمٍ، والقربُ منه شفَا
يا ساقيَ القوم مهلاً، ها هنا ظمِئٌ!
يا نسمةَ الشوقِ قولي للفِراق: كفى...

كانت

شعر: سيف الدين الراعي

كانت تسكبُ دمعتها
وكيف
مصابيحَ الليل
تفيء
والآخر
كلَّ صباح

في عينيّ
لمثلي
أضأتُ
إلى أحضاني
طيَّ الكتمانِ
ويمنّيني

كانت ترقد
ألا يتغيَّرْ؟
دروبَ العمر
كانت
×××
بغد أخضرْ

في جفنيْ
أيامٌ
وأوقفتُ
تتدحرج قدّامي
كانت
×××

وعلى خفقات
تمرقُ كالومض
نزيف الترحال
تتلوّى
عصفورة تين
كانت حلماً

القلب التعْبى
تشعل
لا تبتئسي..
غنجاً
تنقرُ شبّاكي
صارت حزناً

كانت تغفو..
أعماقي
فأنا كهلٌ
وتضوعُ
كلّ صباح
أضحت همّاً

كانت تصحو..
تحرق أشواقي
أتلمسُ
كزهرة نيسان
توقظني
أبحث عنها

×××
وأنادي
درب الأيام
الحب لديها
من حلم أخضرْ
كلَّ صباح

كانت عصفورة تين
والآه
بعكّاز منخور
ممنوعٌ مبذولٌ
يفرش أيّامي
كل مساءً

تتدحرج قدامي
ينزُّ بأوراقي
أسلمُ ألواحي
حالان على حال
ورداً أخضرْ
كل الأوقات..

تثغو
مطرٌ
للريح
تتراقصُ
يشلحني
وأخادعُ

تشدو
يسّاقط
وللموج
بينهما الدقّاتُ
في المدّ الأخضرْ
نومي

وتناغي
في دربي
أذوّبُ
وتأخذكَ
كانت حلمي
أطبق

×××
وحبيبةُ قلبي
أفراحي
الأحلامُ بعيداً
كانت
أجفاني

كانت
أرضٌ عطشى
في ملح
تطويكَ الأشواقُ
أجمل من حلمي
وأمدّ يديّ

حلماً
تترقرق
النسيان
وأنتَ
عيناها
لأحضنها

صارت
فيها الأمواهُ
وما أغمضُ
الواقفُ
مرج أخضرْ
وأسير

حزناً
وما زالت عطشى
إلا لأراك
من حيث وقفت
خدّاها
وراء سراب

أضحت
تبحث
×××
لا النبعَ
شفتاها
الأحلام

همّاً
عن بعل يخصب
كانت
بلغتَ
وحناياها
×××

والعمر؟
×××
عصفورة تين
ولا شطَّ الشطآن
مرجٌ أخضرْ
كانت حلماً

طريقٌ مفتول
لا تبتئسي
تتدحرجُ قدّامي
فتلوبُ
كانت
صارت حزناً

×××
يا دافئة العينين
وإذا
تعاتبُ قلبين
حلماً
أضحت همّاً

لا أعرف
فها أنا...
ما بلّلها
قلباً
أخضرَ
والعمرُ

كيف تغيّرْتِ؟
نورَتُ
القطرُ
ترتجُّ به الأشواق
يأتيني
طريقُ مفتول

أحبك

شعر: أشواق الفرق/
نادي الشباب حماة

سأهجره
لينساني
وينسى دفء أوطاني
ليحيا موجة أخرى
يضيع فيها عنواني
فلا يغريه صوت البحر
لا تغريه ألحاني
وصوتي العذب قد ينساه
ينسى نبض وجداني
ترى؟
ما زال يرسمني؟
ربيعاً كان ألواني

أجاب:
أحب يا عمري
فحبك ورد بستاني
وإني طامع أبداً
بمغفرة لعصياني
فحبك أنت يا عمري
نسيم يروي أشجاني
فعفوك مطلب يسري
يبرد نار بركاني
فإن أنساك يا أملي
حنايا الروح تنساني

يا نديمي!

شعر: راميار سلمان جزيري

اسق شفاهي كؤوس الشوق
ودعْ جنون حلمي يأخذني
إلى ليالي السمر
تشعل بي كل هذا الحريق يا
فرحي
وألوذ بصومعة الغياب تنهيدة
وتر
أتوه في ضلالات الهوى
وقلبي القابض على جمرات
الحنين والسهر
تسكنني
تؤثث روحي بما بقي منك
تشهق بوجهك ضحكاتي
تنثرها على خيوط الفجر

على حواف الورق

شعر: رندة حلوم

ثوبي طويلٌ، يشاكس أحلامَ كاحلي بالصعود إلى أعلى
تمتدُّ يدي، فترميه بعيداً، وأرتدي حبرَ الكلام
أنا الآن صفحة في كتاب، صفحةٌ أولى والمداد عباءةُ الشَفق
على الهامش سقطت دمعةُ زهرة اللّيمون
وعلى الهامش أيضاً عصفور حديقتنا يلقي التحيّة على من مروا جوار النّافذة
أنتم لستم الغرباء، أعرفكم جيّداً، وتعرفكم النّوافذ والأبواب
ألِفَت عطرَكم بناتُ الأغصان، ونامت على كتف الحنين قصائدكم المشاغبة مع جنون الفصول
هناك على شفة الرّحيل بقايا من حروف سلامنا الأخير
وعلى خد اللّقاء عناقٌ من حرير
هناك أنت وأنا، وقد هدّنا السّير على الأقدام إلى أبعد من المعنى
دعنا نطوِ صفحةَ هذا الشّتاء، نُقلّم بها وعورةَ الطّريق، حتى إذا زارنا النّعاس، وأردنا أن ننام، أعيرك جناح أحلامي ومفتاحَ الفجر
لندخل معاً وضح النّهار ...
ارم الضبابَ بعيداً كربطة العنق المزعجة ارمه عند قدمي النُّعاس،
واكتب لي لحناً من نبيذ، أريد التّماهي مع حواف ورقة العنب في أوّل تشرين، وأن نسقط معاً برقصة أخيرة في حضن الكلام

«علبة كبريت رطبة»

شعر: تسنيم حومد سلطان

من وحشتي وحدي أعود لوحشتي..
كيف التَّخلص من دوائر وجهتي؟
أو كيف من صخب الحياة وحزنها
آوي إلى عشقٍ يضاهي سكرتي؟
ما زلت في ضيق التّنفس أشتهي
تبغاً لمنتحر يذوب بقهوتي..
في الليل ماً يكفي من الحبر المعقد
كي أدوّن
ما يؤرّق وحدتي..
والآن بعض حُتامة السرداب
تستجدي اهتراءً فادحاً في شمعتي..
صمتٌ خرافيّ، وضوءٌ خافتٌ
والعطر يأخذني لأوّل قُبلة..
يرتاب منّي
ذلك الرّجل المعلّق
في المرايا ثمّ يفهم قسوتي..
لي منك نزعاتُ النّدى في عُلبة
الكبريت أو قلقٌ يؤجج حرقتي..
إني هنا
والخوفُ ذاكرتي الى مكر النّساء
فأين أدفن جمرتي؟
لا أرض لي
فضّلت منتهك الغرام ولم أصل بالحبِّ أرض الرغبة..
ذاك القريبُ من التوجّس شاعرٌ
لم يقترف بالحبّ أيّة شهوة..
في صدره لغةٌ تسيل ووردةٌ
همست هشاشتها لتصلب قوتي..
أنا أوّل امرأة على قلق الغواية
علّقت أنفاسها في الغرفة..
لا تحسبوا أنّ الغرام معمَّمٌ
إنّ الغرام فقط لأهل الصفوة..

ذلكَ المَغيبُ

شعر: ميديا سليمان

عندَ..
ذلكَ المَغيب
تراءَيتَ لي
كنورس مُهاجر
بينَ ثُقوب المغيبْ
فاضَ قلبي بالأوجاع
وتذكّرتُكَ
أيُّها الحبيبُ..
احترتُ..
كيفَ أكتُبُ اسمَكَ
بينَ شُحوب ألوانه؟
وبمَ أُناديكَ؟
قبلَ أنْ يؤوبَ
بالرَّحيل...
أأُناديكَ
أميرَ العُشَّاق
أمْ مَلكَ الأشواق؟
ثمَّ لا...
بلْ مالكَ قلبي
وكلَّ الأشواق...
فراشاتُ الشَّوق
تتراقَصُ
على خوالجي
يزورُني طيفُكَ
عندَ ساعات الفجر
تُلازمُني كتوءم أحلامي
كنسمة خريفيَّة
تتسرَّبُ
بينَ ثنايا مُهجتي
تُرمِّمُ تجاعيدَها..
تغرسُ جُذورَكَ
في مسامات قلبي...
تُداعبُ موجَ أُمنياتي
بشُعاع نور
ببسمة عذبة
بلمسةٍ لخدٍّ وردة
كحضنة حبق
كقطرة ندى
تسقُطُ بمرارة
بينَ وسادة
خاوية منَ الألوان
يتيمةُ المضجع
مُبلَّلةٌ بالدُّموع
مُبعثرةُ بالصُّور
وما أوجعَها منْ لحظات
في مُناجاة الصُّور!
أسمعُكَ بشغف
تهمسُ...
تردِّدُ أحرُفَ اسمي
بدفء
تُسامرُ أحلامي..
بعبقِ أنفاسكَ
تُراقصُ خُصْلات شعري
بلمسة منْ كفِّكَ
تنثُرُ ماءَ الحياة
على قدّيَ العَطش
كبلابل الرَّبيع
تُغرِّدُ...
في مَخدعي..
كقوس قُزح
تُنيرُ وحدةَ ليلي وظلامَهُ...
أهذي أنا بكَ
وأمتزجُ باسمكَ
وكُلُّكَ حلَّ همسُكَ
كأنين ناي حزين
يصرُخُ منْ جُرحي..
كسحابة ثكلى تذرفُ
قطرات منَ الدُّموع
على بلّور شُرفتي
بباقات الألم
والكثير منَ الحَنين
بلادٌ بعيدةٌ..
وأحلامُنا البريئةُ
دُروبٌ طويلةٌ
أشباحُ أشجار انتصبَتْ
بينَ الحُدود
تُلوِّحُ لنا منْ بعيد..
ونسماتُكَ تلفَحُني
برائحة الغار
تحملُ ذكراكَ
بنوح هديل الحَمام...
بجناح
فراش مُثقَّل بالسَّقم
تختفي
بينَ أفول ذلكَ المَغيب..
مُؤلمةٌ هيَ الأقدارُ
كيفَ...
تغتصبُ فرحَ الأعمار
كالرَّحى...؟
تطحَنُ ما في النُّفوس
منْ أسرار
بسيل مُؤلم جارف
تكتُبُ قصَصَ
وقصائدَ الفراق لنخُطَّها بحبر الأشعار
وبنزف الرُّوح
تختمُ الأقدارَ
ولا يبقى لنا
سوى ذلكَ المَغيب
وجرحُ قلبي
الذي أهداني إيَّاهُ
عندَ ذلكَ المَغيب..

الاحتفاء بالذكرى التاسعة والأربعين لرفع القائد المؤسّس حافظ الأسد العلم السوري في سماء القنيطرة المحررة

احتفى فرع القنيطرة لاتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع مديرية ثقافة ريف دمشق - النافذة الثقافية في قرية (عرنة) بالذكرى التاسعة والأربعين لرفع القائد المؤسّس حافظ الأسد العلم السوري في سماء القنيطرة المحررة بمهرجان أدبي أحياه مجموعة من الأدباء هم: د. جهاد بكفلوني - د. أحمد علي محمد - أ. رياض طبرة - د. جمال أبو سمرة - د.ريما الدياب - أ. محمد الحفري - أ. سمر أحمد تغلبي - أ. جابر أبو حسين الطويل - أ. لينا فيصل المفلح - أ. ميشيل العيد، وذلك في عرنة يوم الإثنين ٢٦ حزيران ٢٠٢٣م..

حضر الفعالية السيد أشرف زغيب مدير النافذة الثقافية في عرنة والشيخ أبو عبدالله سليمان مسعود وعدد من وجهاء عرنة ومثقفيها، ومجموعة من شعرائها وفنانيها وأطفالها الذين شاركوا بقصائدهم وأغنياتهم وفقراتهم الفنية المتنوعة التي أغنت المناسبة.

ومن المشاركين في الفعالية الأستاذ حسين كبول والشاعر الشيخ أيمن أبو قيس وشاعر الزجل جمال أبو قيس وعازف العود الأستاذ وائل زغيب إضافة إلى مشاركة تلاميذ مدرسة الشهيد محمد أبو عسلة بلوحة راقصة بالزي الشعبي و قصيدة للشاعر عمر الفرا أداها محمود فراس مسعود....

وقد أكد المشاركون أهمية الحدث ورمزيته وتغنوا بأثره في نفوس السوريين والعرب مشيدين بوقفة أهل الجولان البطولية في وجه المغتصب، الصهيوني متطلعين إلى تحرير الجولان السوري المحتل في القريب العاجل...

«مختارات» من شعر بيان الصفدي

ضمن إصدارات دار البلد للطباعة والنشر صدر كتاب جديد حمل عنوان "مختارات" يضم طاقة من قصائد الشاعر بيان الصفدي.

في هذه المختارات الشعرية لغةٌ على درجة عالية من الخصوصية، تُذيقنا متعة بساطة العمق وعمق البساطة، وتوائم ما بين السؤال والجواب مواءمةَ منطقٍ شعريّ يفسحُ لرؤياه أن تكون مولّدة رؤى، وإذ تستضيفُ هذه اللغة الخيال تستضيفه إلى ريشةٍ وألوانٍ ومجازٍ غاية في النقاء والصفاء.

ضم الكتاب مختارات من بعض دواوين الشاعر التي صدرت ما بين أعوام ١٩٧٦و ٢٠٢١ وهي: "ويطرح النخل دماً"، "دقات القلب"، "ما لا يعود" "جنة صغيرة"، "كتابها"، "فرض عين.. وقلب"، حيث تشكل هذه المختارات عرضاً لمراحل الوعي الشعري عند بيان الصفدي ونضوج تجربته الغنية في المتخيل والرؤية والحدس والذاكرة والشغف المشاكس الباحث عن مواطن الجمال في خرائط اللغة والصورة والرمز العميق.

«الأسطورة والإنسان» في المحطة الثقافية بجرمانا

تحت عنوان «الأسطورة والإنسان» ألقى الباحث عيد الدرويش محاضرة في المحطة الثقافية بجرمانا بالتعاون مع فرع ريف دمشق لاتحاد الكتاب العرب.

تضيء المحاضرة على تداعيات الأسطورة ومعانيها في التاريخ وأثرها على الإنسان حيث تطرق إلى مخيلة الإنسان التي كانت واسعة منذ الأزل، وفيها الكثير من التطورات وفق ما شاهده من سلوكيات وتحولات اجتماعية وإنسانية ومعرفية، جعلته يبحث دائماً إلى أين يمكن أن تؤول الأمور، مبيناً أن الأسطورة تعدّ شكلاً من الأشكال المعرفية.

كما أوضح الدكتور غسان غنيم رئيس فرع ريف دمشق لاتحاد الكتاب العرب الذي أدار المحاضرة الخلط الواقع بين الأسطورة وما يشابهها والقصة التي تقترب من دلالتها الأسطورية مثل الحكاية الشعبية أو الخرافة أو الملحمة، مؤكداً أن الأسطورة حقل له ما يميزه بين هذه الأنماط، فهي قصة تم تأليفها من جماعة بشرية أو من أفراد في هذه المجموعة، وتناولت الموضوعات الوجودية الكبرى كفكرة الموت والوجود والمنشأ والمصير، وقد تتناول بعض الشروح التي يمكن أن تقدمها الجماعة لناشئيها، فهي حقل معرفي لا يزال الكثيرون يختلفون بشأنه وما تزال فاعليته الأدبية والثقافية حاضرة.

(جون كينيدي يهذي أحياناً) للكاتب الفلسطيني يسري الغول

صدر مؤخراً للكاتب الفلسطيني يسري الغول مجموعة قصصية جديدة بعنوان (جون كينيدي يهذي أحياناً) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، حيث جاءت في عشرين قصة، بأسلوب غرائبي فانتازي، من خلال استدعاء أحداث ومواقف وقعت بعد موت الأبطال داخل مقهى يطل على نهر بجوار تفاحة آدم المفترضة، ومعظم تلك الشخصيات هي شخصيات بارزة عالمياً في السياسة والأدب والفكر مثل جون كينيدي وبابلو نيرودا وسلفادور إلينيدي ورابين وياسر عرفات وتشي جيفارا وغيرهم، إذ يعمد الغول إلى إعادة صناعة الأحداث التاريخية وفق رؤية الغول أو كما يحب.

يسري الغول (مواليد مدينة غزة 1980)، حاصل على ماجستير دراسات الشرق الأوسط، وخريج برنامج تحالف الحضارات، قام بتأسيس عدة مبادرات ثقافية فاعلة، صدر له العديد من الأعمال القصصية والروائية مثل مشانق العتمة ونساء الدانتيل والموتى يبعثون في غزة وخمسون ليلة وليلى وغيرهم.

الكتاب لكل راغب ومُهتمّ

بحضور عدد كبير من الأدباء والمثقفين والمهتمين و حشد من الطلاب والعاملين في جامعة تشرين، افتتح الدكتور بسام حسن رئيس الجامعة والزميل طارق عليا رئيس فرع الاتحاد الوطني لطلبة سورية في جامعة تشرين ود.محمد بصل رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في اللاذقية، معرضاً للكتاب في بهو المكتبة المركزية.

وقد عمل الاتحاد على تزويد المعرض بعدد كبير ومتنوع من الإصدارات بحسومات كبيرة، وذلك تنفيذاً لخطة طموحة يحاول اتباعها في سبيل إيصال الكتاب الورقي بسعر يراعي الظروف الاقتصادية الضاغطة ويقدم الفائدة لكل راغب بالقراءة، وإيماناً منه بأن المكان الطبيعي للكتاب هو بين أيدي القراء وليس في المستودعات.

تألقت في المعرض مجموعة كبيرة من إصدارات اتحاد الكتاب العرب، من مختلف الأجناس الأدبية والإبداعية، وسيستمر الاتحاد في تنظيم معارض للكتاب على امتداد جغرافية الوطن انطلاقاً من إيمانه بأن الجيل الجديد يرغب في القراءة ولديه شغف بالكتاب الورقي، ولا توجد هوة تفصله عن الثقافة ومفرزاتها كما يُقال.

تعاون بين فرع السويداء و «الشهاب المنير» لإطلاق جائزة السويداء للإبداع الأدبي

زار أعضاء هيئة المكتب الفرعي في السويداء مدرسة "الشهاب المنير" الافتراضية، مثمنين خطوة التعاون البناء مع المدرسة كسابقة تعد الأولى من نوعها على مستوى سورية التي تمثلت بالإعداد لجائزة السويداء للإعداد الأدبي.

وقد وضّحت الأستاذة وجدان أبو محمود رئيسة فرع السويداء أهمية هذه الجائزة التي ترعاها مدرسة "الشهاب المنير" والتي ستخصص كل عام لجنس أدبي مختلف، وهي في دورتها الحالية لأفضل مجموعة شعرية، آملة أن تتوسع هذه الجائزة مستقبلاً، فهذه الجائزة في هذه المرحلة الحساسة التي نعيشها في وطننا الحبيب هي ليست انتصاراً لمحافظة السويداء بل انتصار سوري بامتياز ونجمة مضيئة في سماء الثقافة السورية.

تبين الجائزة أهمية التفاعل بين اتحاد الكتاب العرب وفعاليات المجتمع المدني لمنح المزيد من الألق للواقع الثقافي السوري ودعم الحركة الثقافية ورفدها بما يمدها بنسغ الحياة.

هذا وقد أعرب أعضاء مجلس إدارة مدرسة "الشهاب المنير» عن سعادتهم بالمشاركة وبدعم هذه الجائزة، انطلاقاً من إيمان المدرسة بضرورة دعم العلم والثقافة.

«ابن الرومي بين التطير والسخرية» في فرع حمص

تحت عنوان «ابن الرومي بين التطير والسخرية» ألقى الدكتور أحمد دهمان محاضرة في فرع حمص لاتحاد الكتاب بحضور جمهور جميل من المثقفين والإعلاميين والمهتمين، أشار المُحاضر إلى أن الجديد في موضوع التطير والسخرية هو محاولة الربط بين الموروث الذي يكون مسيطراً على الإنسان من دون إرادة وبين وسيلة البوح عن ذلك وهو الشعر.

كما أشار إلى قِدم التشاؤم والتطير عند العرب منذ العصر الجاهلي، وصولاً إلى العصر العباسي.

وعن مظاهر التطير عند العرب تطيرهم من الغراب بلونه الأسود الذي يوحي بالحزن ومن البوم والجراد والإبل والثور مكسور القرن .

وأشار إلى أن ابن الرومي كان مفرطاً في التطير و كان يهجو من يعنفه بسبب هذا التطير .

كان يهجو البخلاء، واعتمد فنه على العيان والمشاهدة وكان يلمح بعينه النقائص ويصورها بشكل لاذع وبقدرة هائلة على صياغة الأحاسيس الصادقة، كما تميز بالعزاء الحار الصادق الإنساني النزعة و بالهجاء الكاريكاتوري الساخر مستخدماً أسلوب التصوير الذي يضخم العيوب .

وقد تزامن هذا التطير مع معاصرة ابن الرومي مراحل كثيرة في الدولة العباسية حيث ساد الشر وانتشر الفساد والفوضى وشاعت أساليب اللهو والخلاعة، فكان حاد الطبع، لا يكف عن تعرية اختلاط المفاهيم في مجتمعه المثخن بالعيوب.

شخصية ابن الرومي ومقوماتها شغلت حيّزاً لا بأس به من المحاضرة، فقد بيّن المُحاضر أن ابن الرومي كان ضعيف الإرادة قوي العاطفة دقيق الإحساس، تتالت عليه النوائب والكوارث والمصائب فماتت أمه وأخوه وأولاده وزوجه، وكان ذلك القدر يدفعه إلى الاستسلام والغموض، إلا أنه بقي صادق المودة، متسامحاً مفطوراً على الحنان والعطف على الفقراء.

كما تناولت المحاضرة مظاهر التطير في حياته وشعره مع الإضاءة على أن أهم أسباب تطيره هو روحه الثائرة واصطدامه مع الحياة والفساد والتناقض الذي كان يلمحه في الحياة.

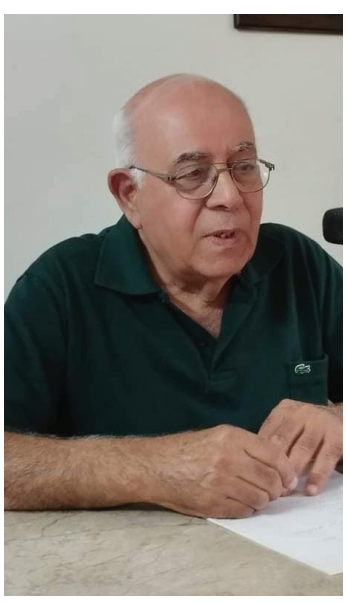

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1825» الأحد 2023/7/9م -
21 ذو الحجة 1444 هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د.خلدون الصبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د.أسامة الحمود- أ.رائد خليل -
د.ماجدة حمود - د.نزار بريك هنيدي -
أ.هيلانة عطاالله

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كلمة أخيرة

كتبها: توفيق أحمد

جينيا لوجيا

لأنكَ لم تَرَ الإسفلت
إلا في المدينة البعيدة
نَضَبَتْ طفولتُكَ المُتْرعَة
ولم يَبْقَ منها إلاّ خَيطٌ
يكاد أن لا يُرى إلا بعين الوجدان

××××

دون أن تهتدي إلى صانع مفاتيح
كيف لكَ أن تفتح مغاليق العمر

××××

أكبرُ شاعرٍ واجَهَتْه روحي
هو أمي الأُمّية
علّمتني أبجديةَ الطفولة
وسجلتني في مدرسة الغيم
وهي تفرك لي أذني
وتقول:
إياكَ ألّا تمرَّ على الأشجار
لتسقيها شجرةً شجرة

××××

في مراحلَ ما من طفولتكَ
لا يجعلك العَوَزُ تفكر
إلا في نطاق الضرورات
لعلكَ في أول فرصة
تمنحُها الحياةُ بالمصادفة
تصنعُ سكةَ قطاركَ المُنْتَظَر
مبتدئاً من صخرةٍ شرسة
وزواريبَ لم يغادِرْها بَعْدُ
ترهُّل التاريخ

××××

رعيتُ الأغنام أحد عشر يوماً
ولم تصلني أجرتي
إلا بعد أحد عشر عاماً

××××

عندما واجهني شطُّ بحر الصين
لأول مرة
بسرعةٍ هائلة قفز إلى بالي
مَنْظَري وأنا (أَرِقُّ) العجين لأمي
بحركاتٍ درامية
لتلصقه بجدار التنور الحامي
بينما الكلب القاعي
ينتظر أية خبزةٍ ناضجة

××××

حافيَ القدمين نَقَلْتُ الماَء على كتفيَّ
من ذلك النبع الشحيح
وأكثرُ ما أتذكَّرُهُ
حواري العقيمُ مع تلك المرأة
التي لم تتحسّس لأحمالي وطفولتي

××××

في سنّ الخامسة
سحبتُ ذلك الرغيف من فم الكلب
الذي رماه له جدي
ربما كانت طفولةً لها عينان ثاقبتان

××××

رغم انسكابها كالمطر
في مرويات أمي
تلك الخوارق وحكاياتُ الحب
لم تُقنعْ إيماني بها
رَحَلَتْ..... رَحَلَتْ
ولم تترك لي
سوى وردةِ الخيال

××××

ما الفائدة من الأشجار
وأنساغها الباقية كذكرى مُرْهَقَةْ؟
ما الفائدة من الأنساب والأصول
والمَتَحَدِّر منها
وأصلابِ الكائنات السابقة
وجغرافيتِها المتنقلة
فهي عناصرُ في غاية الالتباس
وأدلةٌ شعبية يوثقها اللامعنى

××××

لتلوذَ بكَ العصافير
عليكَ أن تكون شجرةً
تجهل عنوانَها الريح

××××

نفوسُنا زئبقية
مرةً ترفعنا
ومراتٍ تُسْقِطنا
هل بإمكان الفضيلة
أن تبقى هي ذاتَهَا

××××

كي يكون الُكتَّابُ أكثَرَ إدهاشاً
يُسقطون حقائقَ التاريخ
بالانقلاب الكامل على مفاهيمها
وهذا ما يجد صدًى في نفسي

××××

لم أعش جوارَ البحر
البحرُ يعيشُ جواري
هو يطعمُني أطايبَ السمك
وأنا أُطعِمُهُ من قمح الخيال
سبحانه جَمَعَ الجارين يلتقيان

××××

عندما شَهِدْتُ أول حرب
اعتقدتُ أن حبيبتي المراهقة
تستطيع أن ترفو ثقوب الاضطراب
بإبرة المراهقة

××××

هل من الضروري
أن يموت الناس
لتتم نجاةُ الأنبياء؟

××××

لكثرة ما أَمْسَكَتِ العقائدُ
الفتيانَ من أعناقهم
وزجَّتْهُمْ في نيران حروب لا يدركون
أسبابها
أصبح من الضرورة
أن تُعْلِنَ الآلهةُ الحروَب على نفسها
لينتصرَ أحدُها
حسماً لمكاسب الغيب

××××

كثيرون ممن يربضون
في الردهات المجتمعية المهمشة
يستطيعون أن يكونوا أبطالاً ...
ولكن...!!!

××××

لكي تحترم ذاتَكَ و الحقيقة
فَعَليكَ ولو كنتَ نسراً
أن تعي الارتفاعاتِ
التي تحلّق فيها
وعليكَ أيضاً أن تعلَمَ
أنَّ القمةَ لا يَزيدُ ارتفاعُها
إلا إذا زادَ الوادي عمقاً

××××

أنتِ كإحدى عقائد المطر
سببٌ في إنبات الأشواك والورود

××××

بدأت مشواري بتكسير الوقت
و ها هو يكسرني الآن
كلانا يحمل مجداً مزيفاً
كلانا جلادان ... نكسر الوقت
ونمشي

××××

أشياءُ الماضي
إذا صِيغتْ على أساس الأخلاق
تستمر بجمهور قليل
و ذاكرةٍ ليست صلبة

××××

الذي يؤمن فعلياً أن الإنسان قيمةٌ
عظمى
لا يعترف بالخرائط التي تُرسم
للأوطان

××××

إذا رأيتُ أبي طالعاً من القبر
سأعانقه على طريقة أهل الجبال
و أذكر أنه كان الرجل الشجاع
إنه هو !! علائم التمرد واضحة
سألف له سيجارةً من علبته البلدية
و أقبس منه إمكاناتٍ جديدة
لمواجهة قبح العالم
و عندما أصحو
سأحتفظ بغبطتي وحدي